عبد المحسن الحسيني :

« الاقسام الجغرافية لجزيرة العرب »

كما تصورها المصادر العربية

حدود الجزيرة العربية :

اختلفت المصادر العربية فى رسم الحدود الجغرافية لبلاد العرب . ويرجع اختلافها فى ذلك الى تباين المناهج التى اتبعتها فى تناول الموضوع ومعالجته . ونستطيع ان نستخلص من بين هذه الخلافات اربعة آراء رئيسية فى معالجة الموضوع .

اما الراى الاول فهو راى فقهاء الدولة ورجال التشريع فيها . ذهبوا فى تحديدهم لرقعة البلاد العربية الى اتخاذ التقسيم الادارى ـ الذى اعتمد عليه ديوان الخراج فى تحديد أعمال الدولة ـ اساسا يستندون اليه فى مذهبهم الذى ذهبوا اليه .

« ذكر ابن وهب عن مالك قال : ارض العرب مكة والمدينة واليمن » (١)

« وقال أحمد بن المعذل حدثنى يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى قال : قال مالك بن انس جزيرة العرب المدينة ومكة واليمامة واليمن » (١)

« وقال المغيرة بن عبد الرحمن : جزيرة العرب مكة والمدينة واليمن وقريّاتها » (١) .

فهذه النصوص الثلاثة تتفق على تحديد رقعة بلاد العرب « بمكة والمدينة واليمن » ولكنها تختلف بعد ذلك فى شأن اليمامة . وقد اعتمدت هذه النصوص على وجهة النظر الفقهية التى كانت تأخذ ـ فى تحديدها للامصار وكور الاقاليم وما تشتمل عليها من القصبات والمدن ـ بالتحديد السياسى الذى حددته الدولة . فالاعمال الرئيسية فى بلاد العرب كانت مكة والمدينة واليمن . وكانت نجد تدخل ضمن عمل المدينة .

اما اليمامة فاختلافهم فى شانها راجع الى اختلاف وضعها بين العصرين الاموى والعباسى . ففى عهد الامويين كانت اليمامة تضاف احيانا الى المدينة ،

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٥

واحيانا تفرد براسها فتكون قصبة مستقلة . وبهذا نستطيع ان نفهم الاختلاف الذى نراه بشانها فى النصوص التى رويت عن مالك . واما فى عهد العباسيين فكانت اليمامة والبحرين وعمان عملا واحدا من اعمال العراق . « البحرين من اعمال العراق . وحده من عمان ناحية جرّفار . واليمامة على حيالها ، وربما ضمت اليمامة الى المدينة ، وربما افردت . هذا كان فى أيام بنى امية . فلما ولى بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحدا » (١) .

فحدود البلاد العربية على هذا الراى هى التى تدور حول مكة والمدينة واليمن تدخل فى ذلك نجد لانها كانت تعتبر من اعمال المدينة دائما . وقد تدخل اليمن ضمن هذه الحدود . واما فى عهد العباسيين فكانت تضاف الى اعمال العراق . وتدخل فى ذلك توابع اليمن من الاحقاف والاشحار اذا اعتبرنا الضمير فى « قرياتها » يعود على اليمن .

اما عمان والبحرين فتخرجان عن هذا التحديد اذ كانتا دائما من اعمال العراق فى عهد الامويين والعباسيين على السواء . لذلك اخرجها مالك والمغيرة والزهرى من اعمال بلاد العرب .

ومرجع الفقهاء فى هذا ــ كما نفهم من قول أبى اسحق الحربى ــ هو عمل عمر بن الخطاب فى خلافته « واخرج عمر بن الخطاب اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، الا انه لم يخرجهم من نجران ولا اليمامة والبحرين فسميت العروض » (٢) فعمر قد اعتبر بلاد العرب قاصرة على اعمال مكة والمدينة وبهذا اخذ الفقهاء أول الامر فيما يظهر ، ولكنهم امام عمل الامويين والعباسيين ــ الذين اضافوا اليمن الى اعمال بلاد العرب ــ لم يكن لهم بد من ان يعدلوا عن رايهم الاول . واضافوا اليمن كذلك الى رقعة البلاد العربية .

وقد تاثر بعض الجغرافيين بهذا الراى فى تحديدهم لرقعة الجزيرة العربية .

واما الراى الثانى فيحدد رقعة البلاد العربية تحديدا جغرافيا . فيجعل البحر حدها الغربى والجنوبى والشرقى ، ويكمل هذا الحد من ناحية الشرق نهر الفرات الذى ينعطف بعد ذلك فى شمال سوريا ، ثم يتجه حتى يصل الى خليج العقبة .

قال ابن حوقل « والذى يحيط بها (ديار العرب) بحر فارس من عبادان ــ وهو مصب ماء دجلة فى البحر ــ فيمتد على البحرين حتى ينتهى الى عمان،

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ــ مادة « البحرين »
(٢) البكرى معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٢

ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهى على سواحل اليمن الى جدة ، ثم يمتد على الجار ومدين حتى ينتهى الى ايلة ، ثم قد انتهى حينئذ حد ديار العرب من هذا البحر . وهذا المكان من البحر لسان ويعرف ببحر القلزم — والقلزم مدينة على طرفه وسيفه — فاذا استمر على تاران وجبيلان وصل الى القلزم وينقطع حينئذ . وهو شرقى ديار العرب وجنوبيها وشىء من غربيها . ثم يمتد من ايلة على مدائن قوم لوط والبحيرة الميتة التى تعرف ببحيرة زغر الى الشراة والبلقاء وهى من عمل فلسطين ، واذرعات وحوران والبثنية وغوطة دمشق ونواحى بعلبك وهى من عمل دمشق ، وتدمر وسلمية وهما من عمل حمص ، ثم الى الخناصرة وبالس وهما من عمل قنسرين . وقد انتهى الحد الى الفرات . ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهى الى الرقة وقرقيسيا والرحبة والدالية وعانة والحديثة وهيت والانبار الى الكوفة ومستفرغ مياه الفرات الى البطائح ، ثم تمتد ديار العرب على نواحى الكوفة والحيرة على الخورنق وعلى سواد الكوفة الى حد واسط فتصاقب ما جاور دجلة وقاربها عند واسط مقدار مرحلة ، ثم تستمد وتستمر على سواء البصرة وبطائحها حتى ينتهى الى عبادان .

وهذا الذى يحيط بديار العرب : فما كان من عبادان الى ايلة فانه بحر فارس ويشتمل على نحو ثلاثة ارباع ديار العرب وهو الحد الشرقى والجنوبى وبعض الغربى . وما بقى من حد الغربى من ايلة الى بالس فمن الشام . وما كان من بالس الى عبادان فهو الحد الشمالى . ومن بالس الى ان تجاوز الانبار فمن حد الجزيرة . ومن الانبار الى عبادان فمن حد العراق » (١)

وبحر فارس الذى يذكر فى هذا النص يقصد به الخليج الفارسى ، وبحر اليمن ، ثم البحر الاحمر . وقد اطلق المؤلف عليها جميعا اسم بحر فارس .

ويتفق مع هذا النص تماما نص الاصطخرى الذى يورده فى المسالك والممالك (٢) ، لم يختلف عنه الا فى كلمة واحد اذ قرأ كلمة « البحيرة الميتة » . الواردة فى النص « البحيرة المنتنة » . وهذا الاتفاق قد يدعونا الى الظن ان هذا التحديد الجغرافى للجزيرة العربية قد سبقهما اليه مصدر سابق اعتمدا عليه وأخذا عنه . ولما كان الاصطخرى قد عول فى كتابه على كتاب صور الاقاليم لابى زيد احمد بن سهل البلخى الذى يذكره المقدسى على انه امام هذا العلم (٣) فمن المحتمل ان يكون هذا النص الذى بين ايدينا هو نص ابى زيد البلخى . وقد يرجع ذلك اطلاقه اسم بحر فارس على البحر الاحمر وبحر اليمن .

(١) ابن حوقل : صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ١٨/١٩
(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٢/١٣
(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦) ٦٨

فالبحر الاحمر فى المصادر القديمة غير الفارسية كان يضاف إلى الحبشة لا الى فارس فكان يسمى بحر الحبشة .

فهذا التحديد الجغرافى الذى يشتمل عليه النص يتفق ـ فيما يبدو ـ مع لفظ الجزيرة الذى اضافه العرب الى بلادهم فقد تصوروها والماء يحيط بها من جهاتها . « قال الخليل سميت جزيرة العرب جزيرة لان بحر فارس وبحر الحبش والفرات ودجلة أحاطت بها وهى أرض العرب ومعدنها » (١) .

ولا يذكر بحر الروم فى هذا التحديد مع الحاجة اليه لاستكمال صورة الجزيرة من ناحية حدها الغربى . والظاهر أن بعض الاعتبارات الجغرافية أو التاريخية قد جعلت الحد الغربى لبلاد العرب يبتعد قليلا عن ساحل البحر الابيض . فالحد كما يرسمه ابن حوقل والاصطخرى يتجه من أيلة الى البحر الميت ثم الى الشراة والبلقاء وحوران وغوطة دمشق ونواحى بعلبك ، اى أن هذا الحد هو الانكسار الاخدودى الفاصل بين سلسلة الجبال الساحلية المطلة على البحر الابيض وبين الهضبة الداخلية المطلة على البادية . فهذا الانكسار يقوم حائلا دون اتصال الاجزاء الداخلية بالساحل بصفة عامة . ويتكون من وادى العربة الواصل من العقبة الى البحر الميت ، ثم من الاخدود الذى يشغله البحر الميت ونهر الاردن ، ثم من سهل البقاع الذى تقع فيه بعلبك ، ثم من مجرى نهر العاصى حتى اقليم الغاب ، اذ يتجه الانكسار بعد ذلك نحو الاراضى التركية حتى مرعش .

وهذا الحد يظهر اكثر وضوحا وتأكيدا فى اجزائه الجنوبية منه فى جزئه الشمالى . فوادى العربة واخدود البحر الميت والاردن يكون شبه خندق طبيعى يحول دون القبائل العربية واقاليم الساحل ، ويكون مشابها لذلك الخندق الصناعى الذى اتخذه كسرى فى الناحية الشرقية من البادية ليحول دون البدو وريف العراق .

وقد أخرج هذا الحد شبه جزيرة سينا من دائرة البلاد العربية ، ولكنه كان جديرا ان يدخل الامارات التى كانت تقع فى شرقيه فى حدود البلاد العربية . ولكن الاعتبارات السياسية ـ التى كانت تجعل هذه الامارات تابعة لاقليم الشام ـ اقتطعتها من حيز الجزيرة العربية واضافتها الى اقليم الساحل . « ويتصل بأرض العرب بناحية أيلة برية تعرف بتيه بنى اسرائيل وهى برية وان كانت متصلة بديار العرب فليست من ديارهم ، وانما كانت برية بين أرض العمالقة واليونانية وأرض القبط ، وليس للعرب بها ماء ولا مرعى ، فلذلك لاتدخل فى ديارهم . وقد سكن طوائف من العرب من

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٦

ربيعة ومضر الجزيرة حتى صارت لهم بها ديار ومراع ، ولم ار احدا عزا الجزيرة الى ديار العرب لان نزولهم بها وهي ديار لفارس والروم في اضعاف قرى معمورة ومدن لها اعمال عريضة فنزلوا على خفارة فارس والروم ، حتى ان بعضهم تنصر ودان بدين النصرانية مع الروم مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام » (١) . فالاداوات السياسية التي كانت تنشأ على أطراف البادية خاضعة لفارس أو الروم كانت لا تعتبر من بلاد العرب رغم دخولها في حيزها الجغرافي . ولهذا فان كثيرا من الجغرافيين كانوا يفضلون في تحديد الحد الجغرافي من هذه الناحية استعمال عبارة « مشارف الشام » او « أطراف الشام » وذلك للاعتبارات السياسية والتاريخية التي كانت تدخل ذلك الاقليم في بلاد الشام « وقال الاصمعي : جزيرة العرب ما لم يبلغه ملك فارس من اقصى عدن ابين الى اطراف الشام ـ هذا في الطول ـ والعرض من جدة الى ريف العراق » (٢) .

واما الراي الثالث فيوفق بين الرايين السابقين فيراعي في تحديده رقعة البلاد العربية الاعتبارات الجغرافية والاعتبارات الادارية في تقسيم الدولة ، وخير من عبر عن هذا الاتجاه المقدسي في كتابه احسن التقاسيم « وهذه صورة جزيرة العرب . وقد جعلناه اربع كور جليلة واربع نواح نفيسة . والكور : اولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر . والنواحي : الاحقاف ، الاشحار ، واليمامة ، وقرح » (٣) . فهو بهذا التحديد يقصر الجزيرة العربية على الجزء الذي يطيف به البحر من الخليج الفارسي الى خليج العقبة والذي يحده من الشمال خط يمتد من العقبة (ايلة) الى الخليج الفارسي . وهذا القدر هو الذي ذكره ابن حوقل على انه ثلاثة ارباع ديار العرب ، ولكن المقدسي يقتصر عليه ليخرج البلاد الشامية من حدود الجزيرة العربية مراعيا في ذلك الاعتبارات السياسية والتاريخية التي كانت تجعل من الشام اقليما مستقلا . وهو في تحديده كذلك لم يتقيد بالنظام الاداري للدولة ، الذي كان يعتبر البحرين وعمان واليمامة من اعمال العراق ، والذي كان يأخذ به الفقهاء ولكنه غلب وجهة النظر الجغرافية فادخل هذه الثلاثة في حدود الجزيرة العربية على الرغم من تبعيتها الادارية للعراق .

ويصور لنا المقدسي جزيرة العرب في صورة طريفة تنم عن ادراك اصيل ،

---

(١) ابن حوقل صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ١٩ ، الاصطخري : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٤

(٢) البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٦

(٣) المقدسي : احسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦) ٦٨

فيتخيلها صفة مستطيلة تمتد من قعر اليمن الى بادية السماوة وبابها الى بادية السماوة وظهرها الى عدن ، ووضع فى طولها سريران احدهما على امتداد الآخر وبجانب كل سرير فضاءان . « واعلم ان مثل هذه الجزيرة كمثل صفة فيها ادنى طول قد وضع فيها سرير من صدرها الى بابها بينه وبين الحائطين من يمين وشمال فضاء . والسرير قطعتان . فالسرير الداخل هو نجد اليمن وهى جبال تقع فيها صنعاء وصعدة وجرش ونجران وبلد قحطان . وعدن فى الصدر فى آخر الجبل لان ثالث الحيطان هو بحر الصين . وهذه السروات عامرة ، بها الاعناب والمزارع . والفضاء الذى عن يمين السرير تهامة . تقع فيه زبيد وبلدانها . والفضاء الذى عن يساره يسمى نجد اليمن تقع فيه الاحقاف ومهرة الى تخوم اليمامة . ومنهم من يدخلها وعمان فى هذه الخطة . وهذا السرير مع الفضائين هى اليمن . والسرير المؤخر الى باب الصفة يسمى الحرة ، من تخوم اليمن الى قرح جبال كلها يابسة لاينبت الا مواقع المواشى والعضون والثمام . يقع فيه الحرم والعمق ومعدن النقرة وتلك المجادب . والفضاء الايمن يسمى الحجاب . وطيبة الحجاز قليلة يقع فيها ينبع والمروة والعميص . والسواحل عمارات ونخيل . والفضاء الايسر يسمى نجد الحجاز يقع فيه اليمامة وفيد وما على الجادة من المنازل . ويسمى هذا السرير مع فضائيه الحجاز ويدخل هجر فيه . ويقابل باب الصفة البادية وهذا شىء رايته وقسمته والله اعلم » (١) . فالبادية بادية السماوة والشام والعراق خارج هذه الصفة او خارج الجزيرة العربية ، وهى بابها .

ويتفق هذا الراى مع الروايات التى نقلت لنا عن الاصمعى وابى عبيدة والتى تجعل حدود جزيرة العرب من الشمال « اطراف الشام » او « منقطع السماوة » .

« قال الاصمعى جزيرة العرب ما لم يبلغه ملك فارس من اقصى عدن ابين الى اطراف الشام . هذا هو الطول . والعرض من جدة الى ريف العراق » . وابو عبيدة يذهب الى نفس هذا التحديد غير انه يعتبر الطول عرضا والعرض طولا وينقل عن الاصمعى قولا آخر يؤيده فيما ذهب اليه . « قال ابو عبيدة جزيرة العرب ما بين حفر ابى موسى بطوارة من ارض العراق الى اقصى اليمين فى الطول . واما فى العرض فما بين رمل يبرين الى منقطع السماوة » وينقل عن الاصمعى فيذكر ان طولها من اقصى عدن ابين الى ريف العراق فى الطول وان عرضها من جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام » (٢) .

---

(١) المقدسى : احسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦) ٩٤/٩٥

(٢) البكرى : معجم مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٦

وأما الرأى الرابع فيريد أن يجعل احاطة الماء من جميع الجهات هو الاصل الاول فى مفهوم الجزيرة . وعلى هذا الاساس اللغوى فى فهم التسمية « جزيرة العرب » يذهب الى رسم حدودها الجغرافية ، جاعلا من الفرات وخليج فارس وبحر اليمن والبحر الاحمر والنيل وبحر الروم ماءا محيطا بجزيرة العرب من جميع جهاتها . وهذا التحديد يختلف عن تحديد الاصطخرى وابن حوقل بأن ادخل النيل وبحر الروم فى رسم الحد الغربى للجزيرة العربية .

« عن الزبير بن بكار قال حدثنى محمد بن فضالة : انما سميت جزيرة لاحاطة البحر بها والانهار من اقطارها واطرارها . وذلك ان الفرات اقبل من بلاد الروم فظهر بناحية قنسرين ، ثم انحط عن الجزيرة ــ وهى مابين الفرات ودجلة ــ وعن سواد العراق حتى دفع فى البحر من ناحية البصرة والابلة ، وامتد الى عبادان ، واخذ البحر من ذلك الموضع مغربا مطيفا ببلاد العرب منعطفا عليها فاتى منها على سفوان وكاظمة ، ونفذ الى القطيف وهجر واسياف عمان والشحر ، ومال منه عنق الى حضرموت وناحية ابين وعدن ودهلك ، واستطال ذلك العنق فطعن فى تهائم اليمن ــ بلاد حكم والاشعريين وعك ــ ومضى الى جدة ــ ساحل مكة ــ والى الجار ــ ساحل المدينة ــ والى ساحل تيماء وايلة ، حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها . واقبل النيل فى غربى هذا العنق من اعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر حتى دفع فى بحر مصر والشام . ثم اقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين ومر بعسقلان وسواحلها واتى على صور ــ ساحل الاردن ــ وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ، ثم نفذ الى سواحل حمص وسواحل قنسرين حتى خالط الناحية التى اقبل منها الفرات منحطا على اطراف قنسرين والجزيرة الى سواد العراق » (١) .

فالمشكلة التى يضعها امامنا هذا النص هى اعتباره النيل الحد الغربى للجزيرة العربية « واقبل النيل فى غربى هذا العنق من اعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر حتى دفع فى بحر مصر والشام » وما يتبع هذا الاعتبار من ادخال بلاد النوبة والبجة وصحراء مصر الشرقية فى حدود الجزيرة العربية .

قد يكون الدافع لرسم حدود الجزيرة العربية على هذا النحو هو التفسير اللغوى لكلمة جزيرة مع شىء من السذاجة ، او الغفلة عن الحقائق الجغرافية ، او مع شىء من المهارة فى صنعة التاويل والتخريج ، وان كان ذلك على حساب الحقائق الجغرافية ، ولكن قد يكون هناك بعض الاعتبارات الاخرى التى ادخلها صاحب هذا التحديد فى حسابه ، فلنحسن به الظن شيئا ما .

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٧

ان سكان الصحراء الشرقية فى المنطقة التى تقع بين اسوان والبحر الاحمر يتصلون اتصالا وثيقا بسكان قلب الجزيرة العربية . وقد ادرك العرب هذه الحقيقة والتفتوا اليها وسجلها الجغرافيون منهم .

قال اليعقوبى فى وصفه للطريق من قفط الى البحر الاحمر ووصفه لمناجم الذهب فى هذه المنطقة « ومن الخربة (خربة الملك منجم قديم فى هذه المنطقة) الى رحم معدن تبر . ثلاث مراحل . وبرحم قوم من بلى وجهينة وغيرهم من اخلاط الناس يقصدون للتجارات » (١) ويقول فى مكان آخر « ومن العلاقى (واد بين اسوان والبحر الاحمر) الى موضع يقال له وادى الجعل مرحلة ثم الى موضع يقال له عتب ثم الى موضع يقال له كنار يجتمع الناس به لطلب التبر وبه قوم من اهل اليمامة وربيعة » (٢) « ومن العلاقى الى موضع يقال له دح ينزله قوم من بنى سليم وغيرهم من مصر عشر مراحل » (٣) .

فهذه النصوص تبين لنا مقدار صلة الجزيرة العربية بهذه المنطقة من الصحراء الشرقية ونوع هذه الصلة وكيفيتها . فان كان بعض هذه النصوص يفسر وجود قبائل الجزيرة العربية فى هذه المنطقة باسباب تجارية واقتصادية ، اى ان وجودهم بها كان على نطاق ضيق ، فقد نجد نصوصا أخرى تعزو وجود هذه القبائل فى هذه المنطقة لاسباب اخرى . فقد كانت وجهة القبائل البدوية فى هجراتها من الجزيرة العربية ولذلك فان وجودهم بها لابد وان يكون على نطاق أوسع من ذلك الذى استخلصناه من النصوص السابقة . « واما اليمامة فواد والمدينة ، به تسمى الحضرمة ... وكانت قرارا لربيعة ومضر فلما نزل عليها بنو الاخيضر جلت العرب منها الى جزيرة مصر فسكنوا بين النيل وبحر القلزم وقرت ربيعة ومضر هناك وصارت لهم ولتميم كالدار التى لم يزالوا بها . وابتنوا بها غير منبر كالمحدثة التى بظاهر اسوان وكالعلاقى وهو المنهل يجتاز به الحجيج الى عيذاب » (٤) .

واذا كانت هجرة القبائل العربية الى هذه المنطقة من الصحراء الشرقية ظاهرة غير مطردة حدثت من قبيل المصادفة فلا يجوز لمحمد بن فضالة ان يدخلها فى اعتباره — ان كان قد راعى مثل هذه الاعتبارات — فيرى ان هذه البقعة من الصحراء الشرقية امتداد لقلب الجزيرة العربية . ولكن ربما كانت هذه الظاهرة ظاهرة مطردة فى العهود البعيدة التى وعتها ذاكرة العرب فكان البحر لايقف امامهم حائلا يمنعهم من العبور الى عدوته الاخرى والاقامة بها فعبر ابن فضالة عن هذا المعنى فادخل هذه المنطقة فى حدود الجزيرة العربية.

---

(١) اليعقوبى : البلدان (ليدن ١٨٩٢) ٣٢٣ (٣) = ٣٢٥

(٢) اليعقوبى : البلدان (ليدن ١٨٩٢) ٣٢٤

(٤) ابن حوقل : صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ٣١

وهناك ملاحظة اخرى جديرة بالاعتبار تكشف لنا عن مقدار تأثر الجزيرة العربية بهذه المنطقة من الصحراء الشرقية وبالمنطقة الواقعة الى جنوبها فالادريسي في وصفه لبلاد البجة يقول « ومن بلاد البجة بلد بختية وهي أيضا قرية مسكونة وبها سوق لا يعول عليها وحولها قوم ينتجون الجمال ومنها معايشهم وهي اكثر مكاسبهم . والى هذه القرية تنسب الجمال البختية وليس يوجد على ظهر الارض جمال احسن منها ولا اصبر على السير ولا اسرع خطى وهي بديار مصر معروفة بذلك . » (١) فالجمال البختية التي يتغنى العربي بفضائلها هي — كما نرى من هذا النص — من نتاج العدوة الغربية للبحر الاحمر وليست من نتاج الجزيرة العربية . فمثل هذه الظاهرة كانت جديرة ان تلفت صاحب هذا الراي الى ما كان بين الجزيرة العربية وبين العدوة الغربية من البحر الاحمر من صلات ترجع الى عهود بعيدة .

فامثال هذه الاعتبارات قد دفعت محمد بن فضالة الى ان يضيف هذا الجزء من الصحراء الشرقية الى حدود الجزيرة العربية . ولكن مثل هذا الرأي قد يبدو لنا غريبا الآن لان فكرتنا عن الحدود السياسية الحديثة تمنعنا من ان نتصوره ، ولكن يجب ان نذكر ان فكرة الحدود السياسية في الازمنة القديمة لم تكن لتمنع من ذلك . والبدو من شأنهم ان يتقدموا بحدودهم في الاقاليم الحضرية التي تحيط بهم الى اقصى مايستطيعون والى ان توقفهم قوة الحضر . ومما يحسن ذكره ان حامية الحدود الشرقية التي كان عليها ان تذود البدو عن ارض الحضر في مصر كانت في بعض عصورها عند مدينة اسوان (٢) .

---

(١) الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق (مخطوط — صور شمسية بمكتبة جامعة الاسكندرية تحت رقم ١٩٤) ٣٦

(٢) ينقل ذلك جورجي زيدان عن استرابون وبلين (العرب قبل الاسلام ١٩٣٩) — ١٦٢ . وحتى في العصور الحديثة فان دي بوا — ايميه يصور لنا صورة مما بقي من صور هذه الصلات القوية بين بلاد العرب وصحراء مصر الشرقية ففي مقالة له عن القصير يذكر ان المدينة لايسكنها الا التجار الذين يقبلون من بلاد العرب ومصر ، وان المدينة ليس لها سكان اصليون . وان المشايخ بها والادارة هم تجار من ينبع تعهدوا بان يقدموا الى الحكومة المصرية حصة مما يجبونه على المتاجر : Du Bois-Aymé Sur la ville de Q'oceyr. (Description de l'Egypte 2ème ed. vol. XI, 385.)

تقسيم الجغرافيين للجزيرة العربية :

والاسس التى اعتمد عليها الجغرافيون فى تقسيمهم للجزيرة العربية اساسان :

اما الاساس الاول فيتخذ من اقليم الحجاز وجباله محورا لهذا التقسيم . ولعل اللغة العربية قد شاركت فى جعل هذا الاساس المتوارث اكثر رسوخا فى الاذهان من غيره ، فذهب اليه اكثر الجغرافيين .

فالحجاز معناه الفاصل او الحاجز حجز بين أقسام الجزيرة وفصل بينها واكد هذا الفصل والتقسيم . « قال الخليل سمى حجازا لانه فصل بين الغور وبين الشام ؛ وبين تهامة ونجد (١) . وقال الزبير بن بكار سألت سليمان بن عياش السعدى لم سمى الحجاز حجازا فقال لانه حجز بين تهامة ونجد (٢) ؛ قال ابن الكلبى الحجاز مايحجز بين تهامة والعروض وفيما بين اليمن ونجد (٣) فالحجاز هو الذى يفصل بين الشام وبين الغور ، ويفصل بين تهامة والعروض، وبين اليمن ونجد فهو الذى فصل بين هذه الاقسام جميعا وحدد لكل قسم منها حيزه الخاص .

والبكرى يعرض لخط التقسيم هذا الذى ظهر فى ثوب لغوى فيحاول ان يصوغه فى اسلوب جغرافى فيقول « وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد وذلك انه اقبل من قعرة اليمن ــ وهو اعظم جبال العرب ــ حتى بلغ اطراف بوادى الشام ، فسمته العرب حجازا . وقطعته الاودية حتى انتهى الى ناحية نخلة ، فمنه خيطى ويسوم ــ وهما جبلان بنخلة ــ ثم طلعت الجبال بعد منه فكان منه الابيض ــ جبل العرج ــ وقدس وآرة ، والاشعر والاجرد ــ وهما جبلان لجهينة ... وطول السراة ما بين ذات عرق الى حد نجران اليمن ــ وبيت المقدس فى غربى طولها ــ وعرضها مابين البحر الى الشرف .

فصار ماخلف هذا الجبل فى غربيه الى اسياف البحر ــ من بلاد الاشعريين وعك وكنانة ــ الى ذات عرق والجحفة وما والاها وصاقبها وغار من ارضها : الغور ، غور تهامة . وتهامة تجمع ذلك كله . وغور الشام لايدخل فى ذلك . وصار مادون ذلك فى شرقيه من الصحارى الى اطراف العراق والسماوة ومايليها نجدا . ونجد تجمع ذلك كله . واعراض نجد هى بيشة ، وترج ، وتبالة ،

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٢

(٢) = ١١ (٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٢٧ ــ والبكرى يورد نفس النص غير انه يضع لفظ اليمامة بدل تهامة (معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١١ ، غير أن نص ابن الفقيه أوضح .

والمراغة، ورنية. وصار الجبل نفسه سراته - وهو الحجاز - وما احتجز به فى شرقيه من الجبال وانحاز الى ناحية فيد والجبلين الى المدينة (١) ، ومن بلاد مذحج : تثليث - وما دونها الى ناحية فيد - فذلك كله حجاز . وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما : العروض - وفيها نجد وغور ، لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل اودية فيها - والعروض يجمع ذلك كله . وصار ما خلف تثليث وما قاربها الى صنعاء ، وما والاها من البلاد الى حضرموت والشحر وعمان ومابينها : اليمن - وفيها التهائم والنجود - واليمن يجمع ذلك كله (٢) .

والمقدسى يتأثر كذلك بهذا التقسيم الذى تحمله التسمية اللغوية لاعلام الجزيرة فياخذ به ، ويصوغه فى اسلوب جغرافى ، ويتخذ منه اساسا لتقسيمه مخالفا فى ذلك اعلام هذا الفن الذين سبقوه ومعلنا مخالفته لهم فى ذلك . فابوزيد البلخى الذى يعتبر امام هذا الفن قد جعل الجزيرة العربية اقليما واحدا ، وهو لم يلتفت الى ما التفت اليه المقدسى من أن جبال الحجاز تقسم الجزيرة قسمة طولية الى اقليمين متمايزين ، وان اقليم الحجاز - الذى يختلف فى طبيعته عن اليمن - يقسم هذه الجزيرة - بتمايزه هذا - قسمة عرضية كذلك ، فيكون الحجاز هو القسم الشمالى وتكون بلاد اليمن هى القسم الجنوبى . ولذلك تنقسم الجزيرة العربية الى اربعة اقسام .

والمقدسى لايفوته ان يدخل الاعتبارات الدينية والفقهية فى احتجاجاته ، هذه الاعتبارات التى حرص على مراعاتها فى تحديد رقعة بلاد العرب وفى رسم اقسامها . « واليمن الجليلة والحجاز . فان قال قائل لم جعلت اليمن والمشرق والمغرب جانبين جانبين قيل له اما اليمن فالنبى صلى الله عليه وسلم جعلها حيث فرق مواقيتها فى الاحرام (٣) . واما خراسان فان ابا زيد جعلها اقليمين وهو امام هذا العلم بخاصته فى اقليمه فلا عيب علينا ان جعلناها جانبين » (٤).

ومثل الصفة الذى يضربه ليصور به صورة جزيرة العرب يوضح لنا كيف

---

(١) لعل كلمة (جلس) او ماشابهها قد سقطت من هذا المكان . فالمعنى لايستقيم الا بمثل ذلك .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٩/٨ .

(٣) لاهل اليمن ميقاتان تبعا لاختلاف الطريق التى ياتون منها فمن اتى من صنعاء عن طريق نجد فميقاته مع اهل نجد قرن المنازل . ومن اتى من طريق الساحل (طريق زبيد) فميقاته يلملم . فالطريق الاول هو الطريق الشرقى والاخر الغربى ويفصل بينهما جبل السراة .

(٤) المقدسى : احسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦) ٦٨/٦٧ .

طبق الطريقة التى ذهب اليها فى تقسيم بلاد العرب . فهو قد اعتبر السرير الاول الجنوبى جبال اليمن الذى تقع فيه صنعاء وصعدة وجرش ونجران وارض قحطان . والفضاء الذى يقع الى جانبه من ناحية البحر هو تهامة . والفضاء الذى يقع فى جانبه من الناحية المقابلة هو الاحقاف ومهرة حتى تخوم اليمن . ثم ينبه الى أن من الجغرافيين من يدخل اليمامة وعمان فى هذه المجموعة . واما السرير الثانى الواقع الى الشمال من السرير الاول فهو يختلف عنه من ناحية الخصب فالاول ارضه عامرة بالاعناب والمزارع والثانى جبال كلها يابسة لاتنبت الا مواقع المواشى والعضون والثمام . والسرير الثانى هذا هو الحرة وهى تمتد من تخوم اليمن الى قرح اى انها تقع شمال الاقليم الاول ويقع فى هذه الحرة مكة والعمق ومعدن النقرة وتلك المجادب . والفضاء الذى يقع فى الجانب المقابل اى فى الناحية الاخرى هو نجد الحجاز يقع فيه اليمامة وفيد ويدخل فيه هجر . والسرير الاول مع فضائيه هو اليمن . والسرير الثانى مع فضائيه هو الحجاز (١) .

فهو يقسم بلاد العرب الى يمن وحجاز ثم يقسم كل واحد منهما الى جانب شرقى وجانب غربى واقليم مرتفع فى الوسط هو فى القسم الجنوبى جبال السراة ، وفى القسم الشمالى حرة الحجاز . واليمامة قد تعتبر من اقليم اليمن الذى يمتد حتى عمان ، وقد تعتبر من اقليم الحجاز الذى يمتد حتى هجر .

فجبال السراة وحرة الحجاز هى المحور الذى يقسم بلاد العرب طولا . وجبال الحجاز القاحلة التى تختلف عن جبال اليمن والتى يتسع عرضها حتى يشمل اليمامة ونجدا تكون ــ بعرضها الممتد من الغرب الى الشرق ــ المحور الذى يقسم بلاد العرب عرضا فيقع فى شماله هجر واليمامة ونجد والجلس ويقع فى جنوبه عمان والعروض والاحقاف والشحر واليمن . والحجاز نفسه الذى يفصل بين القسمين يقع فى وسط المجموعة الاولى . وعلى ضوء هذه الحقيقة ــ وهى ان جبال الحجاز تقسم الجزيرة العربية طولا وعرضا ــ نستطيع أن نفهم النصوص السابقة التى اتخذت من الحجاز اساسا للفصل بين جميع اقسام الجزيرة العربية .

واما الاساس الثانى فيدع جانبا قلب الجزيرة وما تحتويه من جبال ويتخذ ساحل البحر قاعدة لتقسيم الجزيرة . وابن حوقل والاصطخرى يأخذان بهذا الاساس وهما خير من عبر عنه . وهما يقسمان الجزيرة على اساس خطوط عرضية تخترق الجزيرة من غربها الى شرقها وتكاد تكون متوازية تقريبا . فهى تقسم الجزيرة الى مناطق مستعرضة يتلو بعضها بعضا .

---

(١) سبق ان اوردنا نص المقدسى الذى يمثل فيه صورة جزيرة العرب .

وقاعدة هذه الخطوط ترتكز الى نقط على ساحل البحر . واول هذه الخطوط هو الخط الذى يمتد من السرّين على البحر الاحمر (وهى ميناء قديمة تقع جنوب جدة بين الليث والقنفدة) ويتجه نحو الشمال الشرقى الى يلملم ثم شرقا الى الطائف ومنها الى الخليج الفارسى . والخط الثانى يبدا من مدين (على البحر الاحمر ، وهى واحة البدع الان وهى قريبة من الطرف الجنوبى الشرقى لخليج العقبة) ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى الى الحجر ، ثم يشرق بعد ذلك الى جبلى طى ، ومنهما الى اليمامة ، ثم الى الخليج الفارسى . والخط الثالث يقع شمال الخط الثانى ويحصر بينه وبين الخط الثانى منطقة تمتد من اليمامة شرقا والمدينة غربا وتتقدم شمالا حتى تستغرق حدودها الشرقية بقية سواحل البحرين . والخط الرابع يمتد من بالس غربا الى الانبار شرقا . ويتصل بهذا الخط خطان رئيسيان احدهما من عبادان الى الانبار ويكون ضلع مستطيل تتجه مساحته الى الغرب حتى يلاقى مساحة المستطيل الاخر الذى يمتد من الغرب الى الشرق وتتكون قاعدته من الخط الثانى الذى يصل بين بالس وأيلة .

فالاقليم الذى يقع جنوب الخط الاول هو اليمن . والاقليم الذى يقع الى شماله هو الحجاز . والاقليم الذى يقع بين الثانى والثالث هو نجد . والاقليم الذى يقع شمال الخط الرابع هو بادية الجزيرة . والاقليم الذى يقع غرب الخط الاول المتصل به هو بادية العراق . والاقليم الذى يقع شرق الخط الثانى المتصل بالخط الرابع هو بادية الشام .

« فما كان من حد السرين حتى ينتهى على ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتدا على نجد اليمن الى بحر فارس مشرقا فمن ايمن ويكون ذلك نحو الثلثين من ديار العرب . وما كان من حد السرين على بحر فارس الى قرب مدين راجعا فى الشرق على الحجر الى جبلى طىء ممتدا على ظهر اليمامة الى بحر فارس فمن الحجاز ، وما كان من اليمامة الى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين فمن نجد . وما كان من حد عبادان الى الانبار مواجها لنجد على ديار اسد وطى وتميم وسائر قبائل مضر فمن بادية العراق وما كان من حد الانبار الى بالس مواجها لبادية الشام على ارض تيماء وبرية خساف الى قرب وادى القرى والحجر فمن بادية الجزيرة . وما كان من بالس الى ايلة مواجها للحجاز على بحر فارس الى ناحية مدين معارضا لارض تبوك حتى يتصل بديار طىء فمن بادية الشام . على ان من العلماء

بتقسيم هذه الديار من زعم أن المدينة من نجد لقربها منها وأن مكة من تهامة اليمن لقربها منها » (١) .

ففي هذا التقسيم اتخذ ابن حوقل والاصطخرى الساحل أساسا لتقسيمهما اذ كان كان نظام الملاحة هو الذى يميز المناطق الساحلية بعضها عن بعض وبالتالى فهو يميز المناطق الداخلية كذلك . فنظام الملاحة فى جنوب البحر الاحمر حتى السرين أو جدة يختلف عن نظامها فى شماله لاختلاف نظام الرياح . ونظام الملاحة فى خليج العقبة يختلف عن نظامها فى قسمى البحر الاحمر فكانت السرين ومدين نقطتين فاصلتين بين نظم الملاحة فى البحر الاحمر ففصلت كذلك بين المناطق الداخلية فى الجزيرة (٢) .

ولنحاول الآن ان نتبين المنطقة الداخلية التى اعتبرت حدودها اساسا يعترف به فى تقسيم الجزيرة العربية وتمييز اقسامها .

الحجاز :

فهم العلماء من كلمة « الحجاز » معنى « الحجز » فهو يحجز بين تهامة والعروض وقيل بين اليمن ونجد كما يقول ابن الكلبى (٣) او يحجز فيما بين نجد والسراة كما ينقل ابن دريد (٤) او يحجز فيما بين الغور وبين الشام وفيما بين تهامة ونجد كما يرى الخليل (٥) . غير أن البعض لم يفهم من مدلول التسمية معنى الحجز بل فهم منها شيئا آخر وهو الاحتجاز بمعنى شد الوسط بالحجزة او بالحجاز . فالحبل وكل ما تشد به وسطك لتشمر ثيابك

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ٢٠/٢١ ـ الاصطخرى مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٤/١٥ .

(٢) وبعض الجغرافيين من العرب مثل الادريسى قد اتبع نظرية الاقاليم السبعة فى وصف الجزيرة العربية فوقعت فى الجزء الخامس من الاقاليم الاول وفى الجزئين الخامس والسادس من الاقليمين الثانى والثالث . ولما كانت مثل هذه الطريقة لاتعرض لجزيرة العرب عرضا خاصا باعتبارها اقليما مستقلا فلم نشر الى هذا المنهج فى تقسيمها اذ هو جزء من النظرية العامة فى تقسيم العالم المعمور .

(٣) ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٢٧ ـ البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٠

(٤) = ١١

(٥) = ١٢

حجاز (١) . والى هذا ذهب بعض من روى عنهم البكرى فقال « سُمّى حجازا لانه احتجز بالجبال ، يقال احتجزت المراة اذا شدت ثيابها على وسطها ، وابرزت عجيزتها وهى الحُجزة » (٢) . والى هذا المعنى ذهب ابن السكيت فى نقله عن الاصمعى فيقول « ما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد الى ثنايا ذات عرق . وما احتزمت به الحرار : حرة شوران وحرة ليلى وحرة واقم وحرة النار وعامة منازل بنى سليم الى المدينة ، فما احتاز ذلك الشق حجازكله »(٣) وصاحب المحيط يستعمل اصلا كلمة احتجزت بدلا من احتزمت فيقول « لانها احتجزت بالحرار الخمس حرة بنى سليم وواقم وليلى وشوران والنار » فهذه الحرات هى سلسلة تتتابع من الجنوب الى الشمال ويكون متوسط اتساعها مسيرة ليلتين سريعتين أو ثلاث (٤) .

فبلاد الحجاز قد احتزمت بالجبال أو بالحرار فسميت حجازا ، أو قد حجزت جبالها وحرارها بين نجد والسراة أو بين نجد واليمن او بين نجد وتهامة او بين الشام والغور فسميت لذلك حجازا .

والحجاز حجازان : الحجاز الاسود ، وحجاز المدينة (٥) . أما الحجاز الاسود فهو سراة ثقيف او السراة الثالثة ، تبدأ بعد انتهاء السراتين الجنوبيتين سراة الازد فى قعر اليمن ، وسراة فهم وعدوان فيما يليهما (٦) . فاذا انتهت هذه السراة الثانية عند جبل تثليث بدأت السراة الثالثة واستمرت حتى الطائف . وعند ذلك يبدأ الحجاز الثانى حجاز المدينة . وهو سلسلة من الحرات تتتابع من الجنوب الى الشمال حتى منطقة تبوك . ولكن فى منتصف المسافة بين مكة والمدينة أو مايقرب من ذلك عند نقطة يقال لها العَرْج (عرض ٢٣°) يبلغ ذلك الحجاز الثانى نهايته ايضا وبانتهائه ينتهى الحجازان « طول الحجاز من حد العرج الى السراة » (٧) . واذ قد انتهى الحجازان يبدأ قسم ثالث من اقليم الحجاز وان كان يتخذ تسمية مخالفة فيعرف بالجلس

---

(١) القاموس المحيط .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١١

(٣) = ١٤

(٤) هذا التقدير هو تقدير النضر بن شميل (ياقوت : معجم البلدان — مادة « حرة ») .

(٥) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٣ .

(٦) ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٣١ .

(٧) = ٢٧ .

ويبدأ عند عقبة العَرْج ويتجه الى الشمال حتى اقليم الجناب وتبوك . والقسم الساحلى منه تحفه جبال هى امتداد الجبال الشمالية المعروفة بالشراة والحسمة والمتصلة بجبال الشام « والعَرْج ايضا عقبة بين مكةوالمدينة على جادة الحاج تذكر مع السقيا ـ عن الحازمى ـ وجبلها متصل بجبل لبنان (١) .

فالحجاز هو الحجاز الاسود ، وهو الجزء الشمالى من سلسلة جبال السراة ، يبدأ من جبل تثليث فى الجنوب ويمتد الى الطائف فى الشمال ، ثم حجاز المدينة وهو سلسلة من الحرات ويحمل اسم الحجاز حتى عقبة العَرْج، ثم الاقليم الثالث وهو بقية اقليم الحرات الذى يحمل اسم الجلس ، ثم الجناب ويمتد حتى تبوك او معان شمالا .

حد الحجاز الجنوبى :

يتكون الحجاز الجنوبى من ثلاث مناطق متجاورة تمتد من الشمال الى الجنوب فى موازاة الساحل ، ويقع عند نهاية كل واحدة منها خط الحدود الذى يفصل بين الحجاز واليمن من قبلها . وهذه المناطق الثلاث هى : المنطقة النجدية الداخلية ـ جبال السراة المتوسطة ـ تهامة او منطقة الساحل الخارجية .

وخط الحدود فى المنطقة النجدية المحصورة بين سلسلة جبال السراة وبين رملة يبرين (الربع الخالى) يحدده لنا اكثر الجغرافيين عند بلدة يقال لها « الهجيرة » او « المهجرة » عند شجرة تسمى « طلحة الملك » . « ثم الى سروم راح (منازل الطريق من مكة الى صنعاء) قريةعظيمة فيها عيونوكروم، وجرش منها على ثمانية أميال ، ثم الى المهجرة ، قرية عظيمة فيها عيون . وفيما بين سروم راح والمهجرة طلحة الملك شجرة عظيمة تشبه الغرب غير أنها أعظم منه وهى الحد مابين عمل مكة وعمل اليمن » (٢) . والنص الذى ينقل عن قدامة والذى يتفق مع نص ابن خرداذبة هذا يضيف « وكان النبى صلى الله عليه وسلم حجز بها بين اليمن ومكة » (٣) والادريسى فى منازل الطريق بين مكة وصنعاء يذكر هذا الحد كذلك مع وضعه طلحة الملك فى قرية المهجرة نفسها . « ومن سروم الى المهجرة وهى قرية عظيمة فيها عيون وفيها بئر بعيدة القعر غزيرة الماء ، وبهذه القرية شجرة عظيمة تسمى « طلحة الملك »

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ـ مادة « العرج » .
(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك (ليدن ١٨٨٩) ١٣٥ .
(٣) قدامة : الخراج (ليدن ١٨٨٩) ١٨٩ .

تشبه شجر الخلاف غير انها اعظم منها وهى حد ما بين عمل مكة واليمن » (١) والبكرى فى وصفه حدود اليمن يقول « وحدها الثالث طلحة الملك الى شرون، وشرون من عمل مكة » (٢) فهو يذكر شرون بدلا من سروم راح وقدامة يكتبها كذلك شروم راح .

ونستطيع أن نستخلص السبب الذى من اجله صارت طلحة الملك هذه الحد بين الحجاز واليمن من نص لابن خرداذبة « فمن صنعاء الى خيوان أربعة وعشرون فرسخا ، ومن خيوان الى صعدة ستة عشر فرسخا ، ومن صعدة الى المهجرة ، وهى تحت عقبة المنضح عند طلحة الملك التى هى اول عمل اليمن عشرون فرسخا . فبين المهجرة وصنعاء ستون فرسخا » (٣) فالمهجرة وطلحة الملك تحت « عقبة المنضح » القادم من اليمن وهما دون هذه العقبة القادم من مكة صاعدا نحو اليمن . فعقبة المنضح هذه هى الحد بين الحجاز واليمن . والذى اتيح له أن يصعد عقبة من عقبات البادية يستطيع أن يدرك تماما كيف تكون العقبة فاصلا بين اقليم وآخر .

وخط الحدود هذا الذى يقع اسفل عقبة المنضح ويمر بالمهجرة او طلحة الملك يتكون من مجموعة من البلاد بعضها فى غرب طلحة الملك وبعضها الى الشرق منها ، ويتضح لنا ذلك من وصف الهمدانى لحجة صنعاء عن طريق نجد فالقادم من صنعاء الى نجد يصل بعد تمام خمسة عشر بريدا او بعد أن يكون قد قطع ١٨٠ ميلا الى بلدة كتنة وهى اول حد الحجاز ، وتقع على خط عرض واحد مع جرش التى تقع فى غربيها على مسافة اقل من يوم ، ومع المهجرة وتثليث اللتان تقعان الى الشرق من كتنه على مسيرة يوم كذلك . وخط العرض الذى تقع عليه كتنه كما ذكره الهمدانى (٤) هو ١٧° ١٠' ٦" . فالهجيرة التى يذكرها الهمدانى هى المهجرة التى ذكرتها النصوص الاخرى . غير أن لفظ « الهجيرة » هو الاصح فيما يظهر . والراجح ان ابن خرداذبة وقدامة والادريسى قد خلطوا بين « الهجيرة » هذه التى هى نقطة الحدود وبين « المهجرة » التى تقع جنوبها فى أرض اليمن بمقدار ٧٢ ميلا تقريبا . كما خلطوا بين سروم راح التى هى على الحدود وبين سروم الفيض التى تقع الى الجنوب بمقدار ٥٠ ميلا ، كما يتضح ذلك من مقارنة منازل الطريق بين صنعاء ومكة عند هؤلاء وعند الهمدانى .

---

(١) الادريسى : نزهة المشتاق (مخطوط) الاقليم الثانى الجزء الخامس .
(٢) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٦ .
(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك (ليدن ١٨٨٩) ١٢٥ .
(٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٨٤) ٧/١٨٦ .

وتثليث هذه التى تقع على خط الحدود السابق ولعلها كانت أبعد نقطة فيه الى جهة الشرق قد سمى باسمها الجزء الجنوبى من نجد الحجاز ، كما سمى الجبل الذى يقع خلفها والذى نجده فى الخرائط الحديثة باسم جبل تثليث . والبكرى يتخذ تثليث هذه منطقة الحدود فى بعض تحديداته . « وصار ماخلف تثليث وما قاربها الى صنعاء وما والاها من البلاد الى حضرموت والشحر وعمان وما بينهما اليمن — وفيها التهائم والنجود — واليمن يجمع ذلك كله » (١) .

ولكى نستطيع ان ندرك موقع هذا الحد من مكة التى هى ابرز نقطة فى الحجاز نذكر منازل الطريق بين هذا الحد وبينها : من كتنتة الى يبمبم ٢٠ ميلا — ثم الى بنات حرب ٢٠ ميلا — ثم الى الجنسداء ٢٢ ميلا — ثم الى بيشة بنعطان ٢١ ميلا — ثم الى تبالة ١١ ميلا — ثم الى القريحا ٢٢ ميلا — ثم الى كرى ١٦ ميلا — ثم الى تربة ١٥ ميلا — ثم الى الصفن ٢٢ ميلا — ثم الى الفتق ٢٢ ميلا . والفتق هذه على خط عرض واحد مع الطائف ومكة . فالطائف ومكة تقعان الى الغرب منها . اما الطريق فليس هناك طريق ينحدر منها الى مكة ولكن يسير الطريق شمالا الى راس المناقب التى تبعد عن الفتق ٢٢ ميلا ، ثم يعود فينحدر الى الجنوب والغرب حتى قرن المنازل فمكة (٢) .

وخط الحدود فى منطقة تهامة الساحلية يضعه الجغرافيون عند حصن السرئين الواقع على ساحل البحر ثم يمتد هذا الخط الى الشرق حتى ينتهى على ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتدا على نجد اليمن « فما كان من حد السرئين حتى ينتهى على ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتدا على نجد اليمن الى بحر فارس مشرقا فمن اليمن . ويكون ذلك نحو الثلثين من ديار العرب . وما كان من حد السرئين على بحر فارس الى قرب مدن راجعا فى المشرق على الحجر الى جبلى طىء ممتدا على ظهر اليمامة الى بحر فارس فمن الحجاز » (٣) : وبحر فارس هنا يشمل الخليج الفارسى وبحر اليمن والبحر الاحمر) .

---

(١) البكرى: معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٩

(٢) هذا التقدير هو تقدير الهمدانى وقد رجحناه على غيره .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ١٩ — الاصطخرى : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٤ .

وهذا الحد يقع الى الشمال كثيرا من الحد السابق فهو اذا ارتفع الى الجبل فانما يرتفع الى ظهر الطائف أى فى الجزء الشمالى من سراة ثقيف . والسبب فى اتخاذ هذا الخط حدا بين الحجاز واليمن من هذه الناحية يرجع الى اعتبارين .

فطبيعة السرين تجعل منها نقطة عسكرية وبحرية تتحكم فى طريق البرى وفى طريق النقل البحرى بين اليمن والحجاز، ويصف ذلك الادريسى فيقول «والسرين حصن حصين حسن موضعه، كثيرة مياهه ولواليه وجابيه شىء معلوم ورسم ملزوم على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالتجارات والمتاع والرقيق . وجباياته المحصلة يصل نصفها الى صاحب تهامة ونصفها الثانى الى صاحب مكة الهاشمى » (١) . وبمقارنة وصف هذا الميناء بوصف الموانى الاخرى التى تقع فى نفس الساحل مثل حلى وضنكان والسقية نجد أنها هى الحصن الحصين والميناء الامين فيما بين تهامة واليمن .

وهذا الحصن يقع خلف جبل يلملم الذى يعترض الطريق الساحلى الواصل بين الشمال والجنوب فهذا الجبل الذى يمتد من الشرق الى الغرب شمال السرين يحول دون سيطرة الحجاز على هذا الحصن .

والبحر الاحمر من حيث الملاحة والرياح ينقسم الى منطقتين احداهما شمالية والاخرى جنوبية ويفصل بين المنطقتين خط عرض جدة . فأصبحت السرين من ناحية الملاحة تتصل بالموانى الجنوبية فى نظامها وتختلف عن الموانى الشمالية التى هى معظم موانى الحجاز .

فخط الحدود يمتد من « السرين حتى ينتهى على ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف » . ومعنى ذلك انه يتجه من السرين نحو الشمال الشرقى . والذى دعا الى تقدمه هذا هو جبل يلملم الذى يعترض من الشرق الى الغرب والذى يتصل بسراة ثقيف .

وخط الحدود فى منطقة جبال السراة — وهى المنطقة الوسطى التى تقع بين المنطقتين السابقتين — يختلف تبعا لاختلاف موقعه فى هاتين المنطقتين . فالحد الاول الذى يتخذ الهجيرة نقطة امتداده يمتد منها غربا على جبال السراة فيصعد الجبل عند عثر ثم يميل الى الشمال قليلا ويهبط الى سطح البحر عند ميناء حمضة التى تقع الى جنوب حلى وبالتالى جنوب السرين . وهذا هو تحديد الهمدانى الذى ينقله عنه ياقوت « فالى حدود الهجيرة وتثليث وكتنه وجرش ومنحدرا فى السراة الى شعف عثر — وشعف الجبل اعلاه — الى تهامة الى أم جحدم الى البحر الى جبل يقال له كرمل بالقرب من حمضة

(١) الادريسى : نزهة المشتاق (مخطوط) الاقليم الثانى الجزء الخامس .

ـ وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة » (١) . والحد الثانى الذى يتجه من السرين شمالا يدخل السراة الثانية سراة بنى عقيل فى حدود اليمن، ثم يمضى بهذه الحدود شرقا فيدخل فيها البحرين وهجر « وقيل هجر قصبة البحرين وقد عدها قوم من اليمن » (٢) .

حد الحجاز الشمالى :

بذلت قبل الآن بعض المحاولات الحديثة لتخطيط الحد الفاصل بين شمال الحجاز وجنوب الشام وكانت النصوص العربية القديمة عنصرا أساسيا فى هذا التخطيط .

واول هذه المحاولات محاولة لامانس وانتهى فيها الى وضع الحدود بين سوريا والحجاز فى المنطقة الواقعة قريبا من واحة العلا فى جنوبها (٣) . وهذه الفكرة يراها صاحب المحاولة الثانية ـ وهو Alois Musil (٤) ـ فكرة لامعة لمن ينظر اليها نظرة سطحية ولكنها اذا بحثت على ضوء التفاصيل وجدت غير صحيحة من وجهة النظر العلمية . فصاحبها لم يميز بين الحدود السياسية والحدود الجغرافية كما انه لم يعر النصوص اللاتينية واليونانية اى اهتمام وكما انه لم يشرح النصوص العربية بأمانة . ويذهب موزيل بعد ذلك الى وضع الحدود الشمالية للحجاز عند السفح الجنوبى لجبال الشراة ، حيث وضع بطليموس الحد الشمالى لبلاد العرب السعيدة . ويرى موزيل بعد ذلك أن النصوص العربية رغم مابينها من اختلافات ـ نتجت عن تغير الحدود السياسية فى بعض العصور ـ فانه يستخلص منها جميعا ان الحد الجغرافى للحجاز من ناحية الشمال هو المنحدر الجنوبى لسفح جبل الشراة كما حدده بطليموس قبل ذلك .

ويبدو لى انه قد كان للحجاز أكثر من حد واحد او بعبارة أخرى ان حدود الحجاز كانت ثلاث نقط . تقع كل واحدة منها على راس شعبة من الشعب الثلاث التى تصل بين الحجاز والشام . واولى هذه الشعب تمتد على ساحل البحر وهى الشعبة الغربية ؛ والثانية تسير فى المنخفض الرئيسى بين المدينة والعلا الى تبوك ومعان ـ هذا المنخفض الذى كانت تسير فيه سكة

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ـ مادة « يمن »

(٢) = مادة « البحرين » .

(٣) H. Lammens : *L'ancienne frontière entre la Syrie et le Hidjaz (B.I.F.A.B. vol. XV, 69 ff).*

(٤) The Northern Hegaz (New York 1926) 257

حديد الحجاز ـ وهذه الشعبة هى الشعبة الوسطى ، والشعبة الثالثة تسير مع الطريق الواصل بين سلسلة الواحات التى تكونها خيبر وفدك الى تيماء ثم دومة الجندل وهذه الشعبة هى الشعبة الشرقية .

فحدود الحجاز كانت تنتهى فى الشعبة الغربية الساحلية الى مدينة مدين (التى توجد بقاياها الآن تحت اسم واحة البِدْع ، وهى اقصى ماتصله فى الشمال من ناحية الساحل ثم تميل بعد ذلك الى الجنوب والجنوب الشرقى مع طريق الحاج المصرى حتى شَغْب وبَدْا والسُّقْيا الى أن تصل الحِجْر ثم وادى القرى . وابن حوقل والاصطخرى اللذان يتخذان ساحل البحر اساسا لتفصيل أقسام الجزيرة العربية يؤكدان لنا ذلك فى وضوح « وما كان على حد السرين على بحر فارس (يطلق على البحر الاحمر وبحر اليمن والخليج الفارسى بحر فارس) الى قرب مدين راجعا فى المشرق على الحجر الى جبلى طيء ممتدا على ظهر اليمامة الى بحر فارس فمن الحجاز » (١) فالطريق الواصل من مدين الى الحجر أسفل الجبال والذى يكون الحد الشمالى للسهل الساحلى للحجاز يمر بشَغْب وبَدْا وهذا يشرح لنا نص البكرى الذى يحدد به الحد الشمالى للحجاز « وحد الحجاز الاول بطن نخل وأعلى رمة وظهر حرة ليلى والثانى مما يلى الشام شَغْب وبَدْا . والثالث مما يلى تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ والرابع مما يلى سماية ووَدّان » (٢) .

وطريق الحاج المصرى يفصل لنا هذا الخط اكثر من ذلك . فمنازل المحجة تمر بالنقط الرئيسية فى هذا الحد وهى كما يذكرها ابن رسته وابن خرداذبة وقدامة تتكون من المراحل الاتية : مدين ـ الاغراء ـ منزل ـ الكلابة ـ شغب ـ بدا ـ السرحتين ـ البيضاء ـ وادى القرى . واليعقوبى الذى يذكر منازل هذا الطريق بشيء من الاختصار قد حفظ لنا ـ من حسن الحظ ـ اسم هذا المنزل المجهول لدى أصحاب التحديد الاول . فهو يقول من مدين الى منزل يقال له اغراء ثم الى قالس ثم شغب ثم بدا ثم السقيا . فهذا المنزل المجهول هو قالس . والبيضاء هذه المذكورة قبل وادى القرى هى احدى منازل الحجر .

واما فى الشعبة الوسطى فان حدود الحجاز تمتد الى الشمال بعد النقطة التى تقع على محاذاة « مدين » فتبوك تقع على محاذاة مدين « ومدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو ست مراحل » (٣) . والحدود بين الحجاز

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ١٩ ـ الاصطخرى : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٤ .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١١ .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ٣٢ .

والشام تقع الى الشمال منها . فابن حوقل نفسه ـ والاصطخرى كذلك ـ حين يذكر ان تبوك يقولان « وتبوك بين الحجر وبين اول الشام على اربع مراحل فى نحو نصف طريق الشام وهى حصن » (١) . فتبوك بينها وبين اول الشام اربع مراحل . فاذا كانت فى محاذاة مدين فحدود الحجاز تمتد اذن فى الشعبة الوسطى ـ الى الشمال ـ مقدار اربع مراحل شمال ابعد نقطة فى حدود الشعبة الغربية . والنقول كثيرة فى اعتبار حدود الشام فيما وراء تبوك واعتبار تبوك من الحجاز « وحد الشام ما وراء تبوك وتبوك من الحجاز » (٢) .

والطرف النهائى لهذه الشعبة لم تحدده المصادر العربية تماما وذلك لان الطريق فيما بعد تبوك الى الشام يكاد يكون قفرا او تكاد تكون منازله غير واضحة عند الجغرافيين . فهم يذكرون منازل هذا الطريق الذى يسلكه الحاج الشامي على النحو الآتى : دمشق ـ منزل ـ منزل ـ ذات المنازل ـ سرغ ـ تبوك . وسرغ هذه تذكر فى تاريخ الفتوح الاسلامية فيذكرون ان ابا عبيدة سار بجيش المسلمين الى سرغ ومن هناك سار الى الشام . فكأن سرغ هذه كانت فى حدود العرب .

وارى ان النهاية الشمالية للحدود من هذه الناحية كانت الى الشمال قليلا ولكن الى الشمال الغربى فقد كانت تنتهى فى أغلب الاحيان الى واحة معان.

واما فى الشعبة الشرقية فقد كانت حدود الحجاز تتقدم نحو الشام مسيرة ثلاثة ايام من واحة تيماء ، هذه الواحة التى تقع على الطرف الغربى لصحراء النفود المسمى عند العرب برمل الهبر او برمل عالج . « وتيماء حصن عامر بنيته أزلية وهو أعمر من تبوك وبينهما اربع مراحل . وبين تيماء وأول الشام ثلاثة ايام . وتيماء مياه ونخيل ومنه تمتار البادية (٣) . واذا اردنا ان نعين المنطقة التى تنتهى اليها الحدود من هذه الناحية فنستطيع ان نضعها فى المنطقة التى يقترب فيها الطرف الغربى للنفود من جبل الطبيق والتى تكاد تفصل وادى السرحان وواحة الجوف (دومة الجندل) عن منطقة تيماء.

والسبب الذى من اجله صارت الحدود الشمالية للحجاز على هذه الصورة نستطيع أن ندركه اذا تنبهنا الى بعض الاعتبارات . فجبال الحسمى

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ٣٢ ـ الاصطخرى : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ٢٠ ـ الادريسى : نزهة المشتاق (مخطوط) الاقليم الثالث الجزء الخامس وهو يذكر نفس النص تقريبا .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٢ .

(٣) الادريسى : نزهة المشتاق (مخطوط) الاقليم الثالث الجزء الخامس.

وجبال الشراة تقسم الجزء الشمالى من الحجاز الى ثلاث مناطق تكاد تكون منفصلة ، يستقل بعضها عن بعض ، والاعتبارات المختلفة من جغرافية وسياسية واقتصادية قد دفعت نقطة الحدود فى كل منطقة منها الى مدى يختلف فى كل واحدة منها عنه فى الاخرى .

منذ أوائل القرن العاشر قبل الميلاد تقريبا والتنافس الدولى يدفع الى السيطرة على ممرات التجارة العالمية فى هذه المنطقة . فسليمان وحليفه الفينيقى حيرام حاولا السيطرة على الطريق البحرى الذى يصل بين سواحل اليمن وميناء ايلات (عصيون جبر بعد ذلك أو ايلة أو العقبة حديثا) وقد استطاعا كما استطاع من بعدهما يوشافط (٨٧٣/٨٤٩ق.م) وامازية وابنه عزيه (٧٧٩/٧٤٠ق.م) ــ وغيرهم من ملوك يهودا ــ أن يسيطروا على هذا الطريق العالمى . وكان على الدول التى خلفت ــ بعد ذلك ــ دولة يهودا وفينيقيا فى منطقتيهما ان تتابع نفس هذه السيطرة على الطريق ، وان تؤكد هذه السيطرة بكافة الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية (١) . وفى نفس الوقت كان ملوك سبأ وخلفاؤهم من ملوك معين الذين كانوا يتحكمون فى التجارة الجنوبية لبلاد العرب يحرصون على السيطرة على طريق النقل البرى الرئيسى الذى يصل بين الجنوب والشمال بين مأرب فى جوف اليمن وبين ديدان ، العلا) ومعان فى الشمال (٢) ، وكان على خلفائهم من بعدهم ان يتابعوا هذه السيطرة . وفى نفس الوقت كذلك كان الآشوريون يحاولون السيطرة على هذه الطرق الرئيسية للتجارة العالمية وتحويلها الى ناحيتهم وذلك بالسيطرة على النقط المركزية فى قلب الجزيرة العربية وربطها بمصالحهم والنفاذ عن طريقها الى ساحل البحر الاحمر . وكانت دومة الجندل (واحة الجوف) وتيماء والقبائل الضاربة حولهما هدف هذه السيطرة ليتحكموا بذلك فى طريقى النقل البرى والبحرى . ففى عهد تغلات بلازر الرابع (٧٤٦/ ٧٢٧ ق.م) اضطرت الملكة زبيبى سيدة دومة الجندل أن تدفع الجزية له وتعترف بسلطانه . كما اضطرت كذلك ــ فى عام ٧٣٢ ق.م ــ الملكة شمسى ملكة احدى الواحات المجاورة أن تعترف بسلطانه وان تقبل فى واحتها مقيما سياسيا من قبله ، ولكنها حين حاولت أن تنحرف الى عدوه شردها فاضطرت

(١) من امثلة ذلك محاولة الرومان استمالة امرىء القيس سيد جزيرة تيران (ايوتاب) واقليم مدين بدعوته الى النصرانية وزيارة القسطنطينية بدعوة من الامبراطور ليو ومنحه لقب فيلارك عام ٤٧٣ .

(٢) Musil: The Northern Hegaz (New York 1926) 243 ff.

القبائل الساكنة فى تيماء وماحولها ان تدفع له الجزية مباشرة (١) . وقد تابع البابليون ـ بعد ذلك ـ ومن بعدهم الفرس نفس هذه السياسة . غير أنميدن سيطرتهم ونفوذهم كان الى الجنوب من المنطقة السابقة وذلك لان مملكتهم كانت تقع الى الجنوب بالنسبة لمملكة الآشوريين فكان طريق سيطرتهم يقع الى الجنوب من صحراء النفود فاعتمدوا على قبيلة طى ثم على كنده بعد ذلك (٢) .

وطبيعة هذه المنطقة الجغرافية كانت تلعب دورا هاما فى حفظ التوازن والمنافسة بين هذه القوى الثلاث المتطاحنة . فجبال الحسمى والشراة تفصل الساحل عن الاخدود الرئيسى الاوسط الذى يشغله الطريق البرى الرئيسى بين الجنوب والشمال ؛ ومناطق الحرة الوعرة حرة الرجلاء وليلى وخيبر تفصل خط الواحات (تيماء . فدك . خيبر) عن الطريق الرئيسى للاوسط ، وتلحق هذه الواحات باقليم البادية ونجد .

حقا ان هذه الطرق تكاد تقع تحت رحمة منطقة مركزية فى الجنوب تستطيع التحكم فيها . وهذه المنطقة هى منطقة المدينة ، أو منطقة القرح التى تقع شمالها قليلا (وادى القرى) ، أو منطقة الحجر أو واحة ديدان (العلا) القريبتان منها . فوادى اضم ـ الذى ينحدر من حرة خيبر غربا ثم يتجه الى الجنوب والجنوب الغربى حتى يصل الى المدينة ويتجه بعد ذلك الى الشمال حتى واحة ديدان ثم ينحدر صوب الغرب فيصب فى البحر الاحمر عند الوجه (قريبا من ميناء الموينذ) والذى يعرف الان بوادى الحمض ـ يمكن من السيطرة على الطرق الثلاثة . فواحة ديدان تسيطر على طريق النقل الرئيسى وهو الطريق الاوسط . والشعبة الغربية لوادى اضم تمكن من السيطرة على اقليم الساحل وموانيه حتى مدين . والشعبة الشرقية منه تمكن من السيطرة على خيبر ثم بعد ذلك على فدك وتيماء . وقد تستطيع القوة التى تسيطر على واحة ديدان (العلا) أن تدفع سيطرتها أبعد من ذلك حتى معان فتتخذ منها مركزا تسيطر به على النهايات الشمالية لهذه الطرق

---

(١) Musil : Arabia Deserta (New York 1927) 477 ff.

(٢) كانت كنده تسكن الى الشرق والى الجنوب قليلا من منازل طى فى المكان المعروف بالشّرف وهو يقع الان تقريبا بين الرياض وحائل مع ميل قليل الى الغرب . ولا يخفى النزاع بين الفرس والروم للسيطرة على كندة وذبيان وكلب وعبس وطى لبسط نفوذهما على هذه المنطقة . وامرؤ القيس سيد جزيرة تيران واقليم مدين كان حليفا للفرس اول الامر قبل أن يستميله الروم اليهم .

فتستطيع من معان التحكم فى الطريق الغربى وذلك بالسيطرة على ايلات (ايلة او العقبة) اذ يمكن الوصول اليها بواسطة الطريق الذى يربط بينهما خلال وادى اليتم والذى يمر بجبل سعير (الجزء الشمالى من السراة) . كما تستطيع السيطرة على طريق تيماء بالتحكم فى دومة الجندل خلال الطريق الواصل بينهما شمال جبل الطبيق وشمال الحرات على الطرف الجنوبى للبلقاء او بادية الشام . وبذلك ينتقل خط الحدود الفاصل بين الحجاز والشام الى الخط الواصل من ايلة الى معان الى دومة الجندل ، والذى يستند طرفه الغربى الى البحر وطرفه الشرقى الى النفود . ولكن طبيعة هذه المنطقة لاتجعل مثل هذه السيطرة امرا سهلا . فهذه الجبال الوعرة التى يصعب فيها الاتصال قد حالت دون تماسك هذه المنطقة وجعلتها مسرحا لقبائل او لشعوب صغيرة يعيش بعضها فى عزلة وفى نزاع مستمر مع البعض الاخر . ففيها كان العمونيون والمؤابيون ، وأهل ادوم وسعير ، وثمود وأصحاب مدين ، والانباط وسكان طور بعل وغيرهم من أمثال هذه الاقليات المستقلة المتعادية . فنتج عن ذلك تفكك هذا الاقليم وظهور المدن او المقاطعات التى تعيش فى حماية الحصون . وكان المظهر الوحيد للتعاون بين مدن هذه المنطقة مقصورا على اتصال كل مدينة أو منطقة فى الطريق الداخلى الرئيسى بنقطة تقع فى حذائها على الساحل لتكون بمثابة حصن لها . أو على العكس من ذلك كان مقصورا على اتصال حصون الساحل بنقط مركزية فى الطريق الداخلى لتموين هذه الحصون وتصريف تجارتها فى داخل الجزيرة . فكانت كل مدينة داخلية مع فرضتها على الساحل ، او كل حصن ساحلى مع نقطة ارتكازه فى الاقليم الداخلى تكون وحدة متماسكة مستقلة يقوم وجودها على حساب غيرها من هذه الوحدات .

ونستطيع ان نزيد ذلك وضوحا باستعراض هذه الصلات . فقد اتصلت معان بايلات خلال وادى اليتم ؛ واتصلت سلع (بترا) بايلة (ايلات او العقبة) خلال وادى العربة ، واتصلت تبوك بمدين (واحة البدع الان) عن طريق ممر شيتار ـ الممر بالسفح الجنوبى لجبل الشراة بين البلقاء والمدينة ـ ، واتصل اقليم القريح او وادى القرى والحجر ـ وما يتصل به من واحة ديدان (العلا) وشغب وبدا (بدا يعقوب) والسقيا (سقيا يزيد) ـ بالعوينيد (الوعينة على الخرائط الحديثة) او بالوجه خلال وادى أضم (وادى الحمض) واتصل اقليم خيبر ـ وما يتصل به من المروة (ذى المروة) وفدك ـ بالحوراء (هى ميناء Leukekome القديمة كما يرى شبرنجر) ، واتصلت المدينة بالجار ، واتصل حصن ينبع الساحلى بالمدينة كذلك .

ونظام القبائل فى هذه المنطقة قد يزيدنا وضوحا فى فهم طبيعتها وتبين

الحدود البشرية والاجتماعية فيها . فالقبائل العربية فى هذه المنطقة ترجع الى نظم اربعة : ثلاثة منها قحطانية ، وواحد عدنانى .

اما اول هذه النظم فالنسب الذى يرجع الى الازد من قبائل اليمن ويضم الازد وخزاعة وبجيلة والاوس والخزرج ثم غسان ، وهذه القبائل امتدت ديارها على طول ساحل البحر الاحمر من اليمن الى شمال الحجاز وكانت تسيطر على طريقى النقل الرئيسيين بين الجنوب والشمال : الطريق البحرى ، والطريق البرى ، فكان بعضها يسكن تهامة والساحل والبعض الاخر يسكن فى الداخل على طول الطريق الذى يخترق سلسلة السراة والحجاز والسراة . وكانت هذه القبائل تعمل فى النقل البرى والبحرى للتجارة فى الوقت الذى كان يسيطر السبئيون والمعينيون على التجارة العالمية فى الجزيرة العربية . ولا يفوتنا ان ننبه الى ان الازد هم بحارة العرب الذين كانوا يحترفون بهذه المهنة بين القبائل العربية ، وكانوا يجوبون البحر الاحمر وبحر اليمن والخليج الفارسى .

واما النظام الثانى فهو النسب العدنانى الذى يرجع الى اسماعيل والذى كانت تسكن قبائله فى اول الامر سلسلة الحرات واطرافها الشرقية التى تمتد من الشمال الى الجنوب من دومة الجندل تقريبا الى حرة بنى عقيل المعروفة بسراة فهم وعدوان الواقعة جنوب الطائف بين سراة ثقيف وسراة شنوءة أو الازد . والتى كانت ديارهم تقع الى الشرق من ديار قبائل الجنوب التى ذكرناها فى النظام السابق . والمصادر اليهودية تذكر اولاد اسماعيل على انهم هم ادوم وعلى انهم كانوا فى وادى فاران . أما ادوم فانها دومة الجندل كما حقق ذلك موزيل واما فاران فهو معدن فاران (١) الذى يقع فى حرة بن سليم وهو احد المعدنين القديمين المشهورين بديار العرب . احدهما فاران هذا ، والاخر عقيق بنى عقيل (١) فى حرتهم والذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مطرت ارض عقيل ذهبا . فارض اولاد اسماعيل هى اقاليم الحرات شرقى سلسلة الجبال وهو المشهور بالذهب . والشعر العربى يصف مضر بانها « مضر الحمراء » (٢) . ويقولون فى تفسير ذلك انه نسبة الى الذهب ، فهذا التفسير له معناه . يقولون انه نسبة الى الاديم الاحمر الذى اتخذت منه خيمتهم الحمراء ، وهذا له معناه كذلك فكلمة ادوم معناها فى اللغة

---

(١) انظر الهمدانى : صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٨٤) معدن فاران ١٧٠ ، عقيق بن عقيل ١٧٧ .

(٢) انشدوا فى ذلك :

اذا مضر الحمراء عب عبابها فمن يتصدى موجها حين تزخر

العبرية الحمرة والبحر الاحمر كان يسمى بحر ادوم فترجم ذلك بالاحمر (١). فلعل هناك صلة بين صفة الحمرة فى مضر وبين نسبة الحمرة الى واحة ادوم . اما العمل الرئيسى لقبائل هذا النظام الثانى فكان رعى الابل ونتاجها فى منطقة الحرات وماسال منها شرقا . وكانت هذه الابل تعد لنقل متاجر الجنوبيين .

واما النظام الثالث فهو نسب القبائل التى تنتهى الى قضاعة من قبائل الجنوب . ويشمل كلب وبنى القين وبنى سليح وتنوخ وجرم وراسب وبهراء ويلى ومهرة وعذرة وجهينة ونهدة . وهذه القبائل تسكن المنطقة التى تقع بين ساحل البحر الاحمر وبين طريق النقل الداخلى والى الشرق منه قليلا فى بعض أقليم الحرات فى المنطقة الواقعة بين ايلة شمالا والوجه جنوبا . وفرع من هذه القبائل يسكن دومة الجندل والحيرة . فهذه القبائل كانت تمتد فى منطقة اشبه بحزام او شريط يصل فيما بين الحيرة والخليج الفارسى وبين منطقة ايلة ومدين على البحر الاحمر . وكانت هذه القبائل تسيطر على طريق التجارة الواصل بين منطقة الفرات والخليج الفارسى وبين منطقة خليج العقبة والشام . كانت هذه القبائل متعاونة اول الامر مع قبائل الازد التى تسيطر على الطريق من الجنوب الى الشمال . ويشيرون فى ذلك باشارة لها معناها فيقولون ان زعيما من الازد أتى البحرين فالتقى هناك بزعيم من قضاعة فتحالفا على التعاون فسموا تنوخا . ولكن هذه القبائل بعد ظهور الاشوريين على مسرح الحياة العالمية اضطرت للخضوع للاشوريين . ومما يجدر ملاحظته انه كان على راس هذه القبائل ملكات من أمثال زبيبى وشمسى كن الى جوار ذلك كاهنات القبيلة . ومن بين هذه القبائل كذلك قبيلة عذرة التى اشتهرت فى الادب العربى بالهوى العذرى . واذا لاحظنا ان عبادة « اشتار » القديمة التى كانت معروفة عند الساميين كانت تدور حول الحب وتهدف الى قهر الموت والفناء عن طريق الحب امكننا ان نتبين مقدار تأثر هذه القبائل بالحياة الاشورية وبالنظام الاجتماعى الاشورى (٢) .

واما النظام الرابع فهو النسب الذى ينتهى الى كهلان من قبائل اليمن والذى يدخل فيه لخم وكندة وطى وعاملة وجذام . وكانت ديار هذه القبائل

---

(١) Le Père: De la mer Rouge Description de l'Egypte 2ème édit.) T XI, 198

(٢) لا ادرى اذا كانت هناك صلة بين عبادة « اشتار » وبين تسمية الممر الواصل بين مدين وتبوك وبالتالى بين مدين وتيماء باسم ممر « شِتَار » (ككتاب) ! . والهمدانى فى تعداده لشطوط بحر العرب (البواحل والموانى) يعد منها تيه تيماء . وكلمة تيه كما يتضح من نصه معناها الساحل او المرسى المتصل بواد يصله بالداخل (صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٨٤) ١٢٧) .

تمتد من الخليج الفارسي والفرات شرقا الى البحر الاحمر غربا قريبا من اقليم مدين . وكانت ديار هذه القبائل تقع على الجملة جنوب ديار القبائل السابقة يفصل بينهما النفود الشمالي فكانت ديارهما تشتركان في المنطقة الشمالية للحجاز . ولعل هذا الفرع لم يظهر الا في وقت متأخر حين بدأ النزاع بين الاشوريين والبابليين . فالاشوريون يحاولون السيطرة على الطريق التجاري بمجموعة القبائل التي ترجع الى قضاعة والبابليون يحاولون ذلك بالمجموعة التي تسكن جنوب المجموعة السابقة وترجع الى كهلان . وقد اعتمد الفرس على قبائل هذا النوع الثاني فيما بعد ذلك اذا اعتمدوا على ملوك الحيرة وكندة.

فالمنطقة الشمالية للحجاز هي هذا الاقليم الذي كانت تختلط فيه النظم الاربعة السابقة من أنساب الجزيرة العربية . وان كان هذا التحديد سيخرج المنطقة التي تقع فيها تيماء ـ والتي كانت منطقة معزولة ـ من الاقليم الشمالي للحجاز وقد يكون ذلك أصح وأجدر بالاعتبار . فاقليم تيماء يتصل ببادية نجد أكثر مما يتصل باقليم الحرات في الحجاز فجبل الطبيق وبادية السماوة تفصله عن اقليم الحجاز وبعض الجغرافيين يعتبره من قليم بادية الجزيرة وبرية عساف لاتصاله بدومة الجندل وتدمر .

الحد بين الحجاز ونجد :

يتكون الحد الشرقي لاقليم الحجاز من سلسلة مناطق متتابعة يتلو بعضها بعضا من الشمال الى الجنوب وتأخذ كلما هبطنا نحو الجنوب في الاتساع والانبعاج نحو الشرق حتى يبلغ ذلك اقصاه عند الوسط تقريبا ثم تعود بعد ذلك فتضيق وياخذ طرفاها في التجمع والالتصاق الواحد منهما الى الاخر حتى تبلغ اقصى الجنوب فتكون هناك اضيق مانجدها . وهذه السلسلة من المناطق التي تؤكد اسماؤها واعلامها وجودها المستقل المتميز ـ ترسم لنا بواسطة حدودها الشرقية او الغربية خط الحدود بين الحجاز ونجد ، وذلك تبعا للاختلاف من حيث اعتبارها في اقليم نجد او اقليم الحجاز . وهذه المناطق هي على الترتيب من الشمال الى الجنوب : منطقة القرى ـ الجناب ـ الجلس ـ نجد العليا ـ ارض العالية ـ تثليث .

منطقة القرى : هذه المنطقة هي المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية من اقليم الحجاز . وكان لها خصائصها المستقلة التي ميزتها عن غيرها وافردتها بالتسمية التي عرفت بها . وهذه المنطقة هي التي تقع فيها واحات خيبر وفدك والسوارقية وامثالها . والاصمعي يؤكد لنا هذا التمايز في نصه الذي يقول فيه « وما دون الرمل (النفود) الى الوبف من العراق ، يقال له العراق. وقرى عربية كل قرية في ارض العرب نحو خيبر وفدك والسوارقية وما اشبه

ذلك » (١) والمغيرة بن عبد الرحمن فى تحديده لبلاد العرب يقول « جزيرة العرب مكة والمدينة واليمن وقريئاتها » (٢) . وهذه المنطقة وان كانت تتصل بوادى القرى الا أنها تستقل عنه فى خصائصها . وهى منطقة تقع فى وسط الحرات الوعرة قائمة فى شبه عزلة واستقلال ، ولما كان طريق الوصول اليها هو عن طريق الجنوب الشرقى من وادى القرى او من وادى خيبر فاعتبرت هذه المنطقة من الحجاز . وتلامس هذه المنطقة عند حافتها الشمالية والشمالية الشرقية حدود نجد او حدود البادية . وفى شمالها الغربى تقع المنطقة المنخفضة التى تفصل بينها وبين تبوك والتى تعتبر منها منطقة المحتطب ، وبذلك يتم الاقليم الفاصل المحيط بها من الشمال الغربى والشمال والشمال الشرقى والذى يفصل بين نجد وشمال الحجاز .

فالحدود بين نجد والحجاز فى هذه المنطقة تبدأ من منطقة المحتطب هذه وتتجه الى الشرق والجنوب الشرقى أسفل منطقة الحرات التى تقع عليها فدك وخيبر والسوارقية حتى تتصل برمل الهبير أو عالج (النفود) وهى بهذا تفصل بين تيماء التى تقع الى الشمال عند الطرف الغربى للنفود وبين اقليم الحرات . فتيماء من بادية نجد « ومنها تمتاز البادية كما يقولون » (٣) واقليم الحرات من الحجاز . ومما يجدر ملاحظته ان منطقة المحتطب هذه ينبت فيها الفضا وقد اعتبر ابن الفقيه ظهور هذا النبات علامة لتمييز نجد عن الحجاز فهو كما يرى لاينبت الا فى نجد « وقد قيل فرق ما بين الحجاز ونجد أنه ليس بالحجاز غضا فما أنبت الغضا فهو نجد وما انبت الطلح والسمر والاسل وواحدته أسلة فهو الحجاز » (٤) .

الجناب : ويقع شمال أرض فزارة (ذبيان) وجنوب أرض كلب « فان جاوزت بلاد بنى فزارة الى أرض كلب فانت بالجناب » (٥) . والاصمعى يؤكد لنا وضع هذا الاقليم بين غطفان وكلب « والجناب مابين غطفان وكلب » (٦) . « فاذا تجاوزت بلاد فزارة فانت بالجناب الى ارض كلب » (٧) . فالجناب يقع

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٥ .

(٢) = ٦ هذا اذا اعتبرنا الضمير فى كلمة « قريئاتها » يعود على جزيرة العرب ، وان كان من الممكن أن يعود على اليمن فهى اقرب مذكور اليه .

(٣) كانت تيماء منازل على (البكرى : معجم ما استعجم ، القاهرة ١٩٤٥) مادة « تيماء ») وعلى من قبائل نجد لذلك اعتبرت تيماء من نجد وليست من الحجاز .

(٤) ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٢٧ .

(٥) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٢ .

(٦) = ١٤ ، مادة « جناب » .

(٧) ياقوت : معجم البلدان ـ مادة « نجد » .

فى منطقة الحرات الشمالية التى تكون الجبهة الشمالية لاقليم الحجاز والتى تقع نجد والبادية اسفل منها . وهـذه الحرات هى : الحرة الرجلاء . حرة راهص . حرة راجل . حرة ليلى . وحرة الرجلاء هـذه فى ديار بنى القين « الحرة الرجلاء وهو علم لحرة فى ديار بنى القين بن جسر بين المدينة والشام» وحرة راجل فى بلاد بنى عبس . وحرة راهص هى فى ديارة فزارة . وحرة ليلى لبنى مرة بن عوف من ذبيان (١) . وتكون هذه الحرات الجبهة الشمالية لمنطقة الجلس .

وكان يسكن بالجناب هذا قبائل عذره وبلى «والجناب أرض عذرة وبلى»(٢) وكان بين اقليم الجناب وبين تيماء فى المنطقة التى تكاد تقع على حدود البادية حصن السموءل « وبين جناب وتيماء حصن الابلق الفـرد الذى كان ينزله السموءل » (٣) .

الجلس : اذا تصورنا الحجاز شجرة قريبة من الارض لها جذر طويل ضارب فيها ولها جزع قصير تعلوه مجموعة كثيفة من الاغصان قد عمل التقليم والقص فى الجانب الايسر منها فقصر عن الجانب الايمن ، كانت هذه الاغصان هى اقليم الجلس وكان ساحل البحر الاحمر هو المقص الذى جار على جانبها الايسر وكانت اغصان جانبها الايمن هى الاقليم الممتد شرقا وشمالا حتى جبلى طى . وكان رأس هذه الشجرة هو اقليم الحرات الشمالية وكانت نقطة اتصال اغصانها بجزعها عند منتصف الطريق بين مكة والمدينة وان كانت الى مكة اقرب منها الى المدينة . اما جزعها فهو جبال الحجاز وأما جذرها الطويل فهو جبال السراة .

فالجلس كما يحدده لنا ابن الكلبى مابين الجحفة وجبلى طى وبعد المدينة منـه « قال : الجلس مابين الجحفة الى جبلى طى والمدينـة جلسية » (٤) . ويذهب الى عـد الحـديد ايضـا عرنام بن الاصـبغ ويزيده وضـوحا فيحدد بعض الاماكن التى تدخل فيـه « الجلس ما بين الجحفـة الى جبلى طى . والمدينة جلسيـة وأعمال فدك وخيبر ووادى القـرى والمزرعة والجار والفرع » (٥) والبكرى يستكمل لنا توضيح هذه الحدود من الجنوب ثم من الشرق فيقول « الجلس ما ولى بلاد هذيل » (٥) ويقول « وبلاد أسـد الجلس والقنان وأبان الابيض وأبان الاسود الى الرمة » (٦) .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ـ مادة « الحرار » .
(٢) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) مادة « تيماء » .
(٣) = ١١ (٤) = ١٠
(٥) = ١٥ (٦) = ١٣

والجحفة هذه ـ وهى النقطة التى يبدأ عندها اقليم الجلس ـ منزل من منازل الحاج بين مكة والمدينة ، بينها وبين المدينة ١٧٣ ميلا وبينها وبين مكة ١٠٣ ميلا ، وهى قريبة من ساحل البحر الاحمر تبعد عنه بمقدار ثمانية أميال فقط ، وهى وفق حساب الهمدانى تقع على خط ١٠° ٢٢' من خطوط العرض.

وجبلا طىء هما أجا وسلمى يقعان على خط عرض ٢٧° تقريبا على يسار الطريق الواصل من الحجاز الى الكوفة على مسافة ٤٠٢ ميلا من مكة ، ٢٤٧ ميلا من المدينة .

ولما كانت الجحفة تقع على ساحل البحر لاتبعد عنه الا بمقدار ثمانية أميال فقط ، ولما كان الجار فرضة المدينة على ساحل البحر قد عده عرّام بن الاصبّغ من اقليم الجلس فاقليم الجلس يضم جزءً من تهامة أو الغور وهو يمتد من الجحفة جنوبا مشرفا على ساحل البحر الى ما يحاذى أجا وسلمى وخيبر وفدك .

واذا كان جزء من الجلس من قسمه الغربى يقع فى اقليم تهامة فهل يقع قسمه الشرقى جميعه فى اقليم الحجاز ، او أن طرفا منه يقع فى اقليم نجد ؟

البكرى يحدد لنا حدود الحجاز من هذه الناحية فيقول « ومن المدينة الى طريق الكوفة الى الرمة حجاز ، وما وراء ذلك نجد الى أن تشارف أرض العراق . ومن طريق البصرة الى بطن نخل حجاز ، وما وراء ذلك نجد الى أن تشارف البصرة . ومابين المدينة الى طريق صنعاء اذا سلك على معدن بنى سليم حجاز الى الجرد الى نجران الى صنعاء . ومن المدينة الى بطن نخل الى شباك ابن عليّة حجاز الى الربذة . وما وراء ذلك الى التّرف الى اضاخ وضرية واليمامة نجد » (١) .

وبطن نخل على الطريق من المدينة الى الكوفة وهى تقع فى شرق المدينة فى محاذاتها مع ميل الى الشمال مقداره درجة تقريبا وهى تبعد عن المدينة بمقدار ٤٩ ميلا (عرض بطن نخل ٢٥° وعرض المدينة ٢٤° تقريبا . وفق حساب الهمدانى) .

والربذة على الطريق من مكة الى الكوفة على بعد ٢٠٠ ميل من مكة ، ٥٨ ميلا من معدن النقرة وهى مجمع طريقى مكة والمدينة الذاهبين الى الكوفة . والربذة بين معدن النقرة ومكة . وعرض الربذة ٢٥° .

ومعدن النقرة وهى مجمع الطريقين تقع بين الحجاز وبين فيد وبينها وبين فيد ١١٩ ميلا وبينها وبين مكة ٢٥٨ ميلا وبينها وبين المدينة ١٢٨ ميلا وهى على عرض ٢٦° . وبطن نخل تبعد عنها بمقدار ٧٩ ميلا .

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٢

ومعدن بنى سليم على الطريق من مكة الى الكوفة بينها وبين مكة ١٦٠ ميلا وبينها وبين معدن النقرة ١٢٤ ميلا والربذة فى منتصف المسافة تقريبا بين معدن النقرة ومعدن بن سليم فبين الربذة ومعدن النقرة ٥٨ ميلا وبين الزبدة ومعدن بنى سليم ٦٦ ميلا . ومعدن بنى سليم على عرض ٢٣/٣٠ .

وطريق البصرة (من البصرة الى مكة) يقع الى الشرق والجنوب قليلا من طريق الكوفة (من الكوفة الى مكة) والمسافة الواقعة بين الطريقين هى مسيرة ثلاث مراحل وهى المسافة الواقعة بين معدن النقرة فى طريق الكوفة وبين النباج فى طريق البصرة . ثم تأخذ المسافة بعد ذلك فى الضيق حتى يلتقى الطريقان عند ذات عرق ، ميقات اهل العراق .

فالبكرى يصور لنا القسم الشرقى من الحجاز مثلثا تستند قاعدته الى وادى الرمة شمال المدينة وضلعه هو الخط الواصل بين المدينة ومكة ووتره يتكون من عدة انكسارات فتبدأ النقطة الاولى عند التقاء الرمة بطريق الكوفة ويسير هذا الوتر حتى الربذة . ومن الربذة الى معدن بنى سليم ثم الطائف يضاف الى ذلك منطقة اخرى تقع بين بطن نخل الى طريق البصرة .

فحدود الحجاز وفق هذا التحديد تنتهى فى الشمال عند التقاء الرمة بطريق الكوفة اى فى ثلثى الطريق بين المدينة وجبلى طى تقريبا واذا أخذنا فى ذلك بتحديد عرام بين الاصبغ الذى يجعل حد الحجاز « من معدن النقرة الى المدينة » (١) فتنتهى هذه الحدود كذلك قبل أن تصل الى جبلى طى بمسافة طويلة تقارب مائة ميل ، وديار بنى اسد التى تقع فى الجلس تقع فى هذا الجزء الذى يخرج عن حدود الحجاز . وما ولى ديار هذيل الذى يقع فى الجلس هو ديار سليم وهوازن وهى تقع فى حد الحجاز هذا .

ولما كان جزء كبير من شمال الجلس يقع خارج حدود الحجاز فقد دفع ذلك قوما الى اعتباره من نجد ويساعدهم فى ذلك أن الحجاز عندهم حجازان الحجاز الاسود وهو سراة شنوءة أو الحجاز والحجاز الآخر هو حجاز المدينة وبعضهم لا يعتبره من الحجاز اذ يعتبر نهايه الحجاز عند العَرْج (٢) فى الطريق بين مكة والمدينة . وهى تبعد عن المدينة بمقدار ٨٥ ميلا وعرضها ٢٢ « وكذلك اذا

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٠ .

(٢) يعتبر بعض الجغرافيين أن العرج هى نقطة اتصال جبال الحجاز بجبال لبنان فلذلك يقصرون اسم جبال الحجاز على السلسلة التى تمتد منها نحو الجنوب « والعرج عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، تذكر مع السقيا — عن الحازمى — وجبلها متصل بجبل لبنان » ياقوت : معجم البلدان — مادة « العرج » .

تصوبت فى ثنايا العرج الى قصه بلاد بنى فزارة أنت متهم فان جاوزت بلاد بنى فزارة الى ارض كلب فانت بالجناب » (١) ولذلك اعتبروا المدينة من تهامة. واعتبر بعضهم الجلس نجدا لاقليم الغور خاصة . « معنى تهامة والغور واحد ومعنى حجاز وجلس واحد . هكذا ذكر الزبير بن بكار عن عمه . وقال غيره معنى حجاز وجلس ونجد واحد » (٢) « والجلس علم لكل ما ارتفع من الغور فى بلاد نجد » (٣) .

فالجلس فيما يبدو اقليم قائم بذاته يقع فى شمال الحجاز الاسود . وجزء منه من الغور وهو الجزء المرتفع من الساحل ، وجزء منه من نجد وهو امتداد حرات خيبر وليلى نحو الشرق ، وجزء ثالث منه من حجاز المدينة الذى عرف فيما بعد مع الحجاز الاخر باسم الحجاز فقط .

وحدود الحجاز الشرقية فى اقليم الجلس هذا تقع عند التقاء طريق العراق بوادى الرمة عند الخط الفاصل بين الربذة والشرف وهو مايسميه البكرى بحد الحجاز الاول « وحد الحجاز الاول بطن نخل واعلى رمة وظهر حرة ليلى » (٤) .

نجد العليا : ونجد نجدان عليا وسفلى « ويقال فى نجد العليا النجد وفى السفلى ارض نجد » (٥) والنجد أو نجد العليا هى أدنى النجدين الى الحجاز والسراة ، تمتد من الشمال الى الجنوب فى شرقى سلسلة الحرات الوسطى . «وقال ابو منصور حرة ليلى وحرة شوران وحرة بنى سليم فى عالية نجد» (٦) وحرة ليلى فى شمال خيبر وشرقيها . وحرة شوران فى شرقى وادى العقيق وفى شرقى المدينة « قال عرام عير (جبل المدينة) جبلان احمران عن يمينك وأنت ببطن العقيق تريد مكة وعن يسارك شوران » وحرة بنى سليم أو حرة النار فى منازلهم حول معدن بنى سليم .

والفاصل ما بين الحجاز ونجد هو هذه الحرات فما سال منها نحو المشرق والشمال الشرقى فهو من نجد وماسال منها نحو المغرب فهو من الحجاز «وقال عمارة بن عقيل ماسال من الحرة حرة بنى سليم وحرة ليلى فهو الغور وماسال

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٣

(٢) = ٨/٧

(٣) ياقوت : معجم البلدان ــ مادة « جلس » .

(٤) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٠

(٥) الهمدانى : صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٨٤) ١٧٧

(٦) ياقوت : معجم البلدان ــ مادة « الحرار »

من ذات عرق مقبلا فهو نجد . وحذاء نجد اسافل الحجاز وهى وجرة والغمرة . وماسال من ذلك عرق موليا الى المغرب فهو الحجاز » (١) غير أن عمارة يقصر معنى الحجاز فى نصه على الحجاز الاسود خاصة ويطلق لفظ الغور على اقليم الجلس وما ينفله ابن الفقيه يحدد لنا ذلك فى صورة أكثر وضوحا « قال جعفر اودية نجد تسيل مشرقة واودية تهامة تسيل مغربة»(٢)

فالمنطقة شمال وجرة والغمرة التى يعتبرها عمارة بن عقيل من الغور أو اسافل الحجاز هى منطقة الجلس (الغمر على عرض ٢٢° وهو عرض الجحفة وبينها وبين مكة ٧٣ ميلا) وقد بينا أن القسم الشرقى من منطقة الجلس أو ماسال من بطن الرمة شرقا او ماسال من حرة ليلى وخيبر شرقا فهو نجد . وماسال من حرة شوران شرقا فهو نجد . ويقع ذلك عند اتصال الجلس بنجد فى هذه المنطقة قريبا من الربذة . وماسال من حرة سليم شرقا فهو نجد كذلك وحده جبل حضن الذى قالوا فيه ان من رأى حضنا فقد أنجد « حضن جبل بالعالية مشرف على السنى الى جانب ديار سليم وهو أشهر جبال نجد » فحضن هو الحد بين اقليم الحرة وبين نجد .

والجغرافيون الذين اتخذوا ساحل البحر أساسا لتحديد الاقسام الداخلية للجزيرة يضعون نجدا فى المنطقة الواقعة شمال المدينة فتكون الحدود بين نجد والحجاز هى من ناحية الشمال فحسب ولعلهم قد أضافوا اليمامة الى اعمال المدينة كما كان الحال فى عهد الامويين فتكون الحدود بين نجد والحجاز هى اقليم حرة خيبر ومنطقة جبلى طى الى أن تتصل برمل الهبير (النفود) وممن ذهب الى هذا التقسيم ابن حوقل والاصطخرى « وما كان من اليمامة الى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين فمن نجد» (٣)

ارض العالية أو العروض : وارض العالية التى تقع الى الجنوب من نجد العليا والى الشرق من الحجاز كانت تعرف بالعروض او الاعراض . وهى المنطقة المشتركة بين نجد والحجاز وتمتد مساحتها شرقا حتى اليمامة والبحرين وجنوبا حتى اليمن . وابن الكلبى يميزها ويرسم لنا حدودها فى نصه الذى يقول فيه « وارض العالية والبحرين الى عمان من العروض » (٤) .

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٤

(٢) ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٢٦

(٣) ابن حوقل : صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ٢١ ــ الاصطخرى : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٤

(٤) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٠

ويذهب الى ذلك ايضا ابو اسحق الحربى فيقول « واخرج عمر بن الخطاب اليهود والنصارى من جزيرة العرب الا انه لم يخرجهم من نجران ولا اليمامة والبحرين فسميت العروض » (١) فهذه المنطقة كانت منطقة واحدة متميزة تقع بين الحجاز ونجد واليمن والخليج الفارسى .

والجزء الغربى من هذه المنطقة الذى يقع بين جبال السراة ورمال الربع الخالى المعروفة برملة بنى سعد أو رملة يبرين وان كان هو ـ فى حقيقة الامر ـ الطريق البرى الوحيد الموصل بين اليمن وبين اليمامة ثم الى البحرين وعمان، او بين تهامة والحجاز وبين هذه المناطق ـ خلال وادى الدواسر الذى يشق منطقة الرمال الفاصلة ، ـ فانه على الرغم من ذلك كان منفصلا ومستقلا من الناحية الجغرافية عن هذه المناطق . فان بحر الرمال كان يفصله عن اليمامة والبحرين وعمان وان كانت الصلات الاخرى الاجتماعية والاقتصادية تربطه بهما .

فالاعتبارات الجغرافية تضيف هذا الاقليم الى الحجاز أو الى نجد العليا ، الملاصقة للحجاز . والنصوص تؤكد هذه الاضافة « والاعراض ايضا قرى بين الحجاز واليمن » (٢) . « واعراض الحجاز رساتيقه الواحدة عرض » (٣) . « واعراض نجد هى بيشة وترج وتبالة والمراغة ورنية » (٤) وكلمة نجد المستعملة هنا هى نجد الحجاز او « أرض العالية » .

والحس اللغوى قد تنبه الى ان منطقة العروض أو الاعراض هذه هى فى واقع الامر منطقتان تفصل بينهما رمال الربع الخالى فاكد ذلك الفصل فى التسمية فكان يطلق العروض على اليمامة والبحرين وعمان . وكان يطلق اسم الاعراض على القسم الاخر .

والخط الواصل بين حيضن فى الشمال وبين جبل تثليث فى الجنوب ينطبق على الحافة الغربية لمنطقة الرمال الفاصلة وهى تكون الحد بين الحجاز ونجد فى هذه المنطقة اذا اعتبرنا هذه الرمال من منطقة نجد .

تهامة :

يطلق على الساحل المحصور بين البحر وجبال السراة او الحجاز لفظ

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٢
(٢) ياقوت : معجم البلدان ـ مادة « عرض ».
(٣) القاموس المحيط ـ مادة « عروض » .
(٤) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٩

تهامة أو الغور ، غير ان الاغلب أن يطلق لفظ تهامة على الجزء منه الواقع فى حدود اليمن ، فيقال تهامة اليمن ، ويغلب اطلاق لفظ الغور على الجزء الشمالى منه الواقع شمال الجحفة ، ويطلق لفظ الغور أو تهامة ــ بدرجة واحدة من التساوى ــ على الجزء الاوسط منه الواقع فى حيز الحرم حتى الجحفة .

واساس التخصيص فى هذه التسمية هو الارتباط بجبال السراة . فسلسلة السراة التى تنتهى عند ذات عرق حيث تختفى النهاية الشمالية لسراة ثقيف او السراة الثالثة تنهى معها تهامة حيث يلتقى طرفا نجد وتهامة بعد ان اختفى الحجاز الاسود الفاصل بينهما . لذلك كانت ذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز « وذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز . وقيل لاهل ذات عرق امتهمون انتم أم منجدون فقالوا لامتهمون ولامنجدون » (١) . وكانت الحدود الشمالية لتهامة تقف عند الخط الواصل من ذات عرق هذه الى البحر « وأما تهامة فانها قطعة من اليمن جبال مشتبكة أولها مشرف على بحر القلزم مما يلى غربيها . وشرقيها بناحية صنعاء على نحو من عشر مراحل » (٢).

وفى النقطة التى يختفى عندها الحجاز الاسود تبدأ سلسلة حرات الحجاز التى تتجه الى الشمال مكونة حجاز المدينة الذى يعلو منطقة الجلس ابتداءً من حد الجحفة . ويسير ساحل تهامة موازيا لهذا الحجاز حتى اذا صادف اقليم الجلس مضى فيه قليلا الى نقطة تقع فى الشمال والشمال الشرقى من الجحفة حيث يلتقى هناك حجاز المدينة (أو اقليم الحرة) وتهامة (أو الغور) واقليم الجلس . وهذه النقطة التى تلتقى عندها الاقاليم الثلاثة تعرف بالعرج « طول الحجاز من حد العرج الى السراة » (٣) . والمنطقة التى تقع جنوب الجحفة هى الغور أو تهامة ، والمنطقة التى تقع الى شمال الجحفة على ساحل البحر هى الغور فقط اى غور الجلس « فصار ما خلف هذا الجبل فى غربيه الى اسياف البحر من بلاد الاشعريين وعك وكنانة الى ذات عرق والجحفة وما والاها وصاقبها وغار من أرضها الغور ، غور تهامة ــ وتهامة تجمع ذلك كله ــ وغور الشام لايدخل فى ذلك » (٤) .

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٩

(٢) ابن حوقل : صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ٣٦ــ الاصطخرى : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ٢٣

(٣) ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٢٧

(٤) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٩

ولما كانت العرج نقطة اتصال جبال الحجاز بجبال لبنان « والعرج عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج تذكر مع السقيا ـ عن الحازمى ـ وجبلها متصل بجبل لبنان » (١) فانا نستطيع أن نفهم لم خصص الجز من شمال الجحفة باسم الغور فقط ـ وذلك لان غور الشام لايدخل فى حد تهامة « وغور الشام لايدخل فى ذلك » . وكثيراً مانجد هذه المنطقة تسمى « بسيف البحر» الى جانب تسميتها بالغور .

ولما كان الجزء الجنوبى من ساحل البحر يعرف بتهامة وكان الجزء الشمالى منه يعرف بالغور فان الجزء الاوسط جمع بين الاسمين فسمى تهامة وسمى الغور أيضا .

ومن حدد مفهوم لفظ الحجاز فقصره على الحجاز الاسود أى جبال السراة فقد اعتبر مكة من تهامة فهى دون هذا الجبل ، محصورة بينه وبين البحر . ومن نهم من لفظ الحجاز الحجازين جميعا : الاسود ، وحجاز المدينة فمكة عنده من الحجاز لانها تقع فى الهضبة المرتفعة التى ترتكز عليها جبال السراة أو الحجاز الاسود . وكذلك شأن المدينة فهى من تهامة أو الغور عند من يقصر معنى الحجاز على الحجاز الاسود فقط وهى من الحجاز على المعنى الثانى فهى تقع فوق نفس الهضبة الحجازية التى ترتكز عليها سلسلة السراة . ومن لايعترف الا بالحجاز الاسود قد يعتبرها كذلك من نجد لانه قد يعتبر اقليم الجلس من نجد « على أن من العلماء بتقسيم هذه الديار من زعم أن المدينة من نجد لقربها منها وان مكة من تهامة اليمن لقربها منها » (٢) .

* * *

ونصوص الجغرافيين فى رسم الحدود الحاجزة بين اقسام الجزيرة العربية تكشف لنا ـ عن طريق تحليلها واستعراض اوجه الخلاف بينها ـ عن بعض من مراحل التطور فى حياة الجزيرة العربية . فقد كانت هذه المراحل تنعكس فى اغلب الاحيان على الاعلام الجغرافية والعناصر الثابتة فى حياة الجزيرة العربية . ولعلنا نوفق الى تتبع هذا التطور فى مناسبة أخرى .

عبد المحسن الحسينى

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ـ مادة « العرج » .
(٢) ابن حوقل : صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ٢١